UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190283

UNIVERSAL
LIBRARY

حصہ اول فہرس – التاریخ

تاريخ
الدولة المكدونية
والممالك التي انفصلت عنها



تأليف
نجيب ابرهيم طراد

طبع
بنفقته ونفقة جرجي حنا غرزوزي
مدير المطبعة اللبنانية



حق اعادة طبعهِ محفوظ لمؤلفهِ

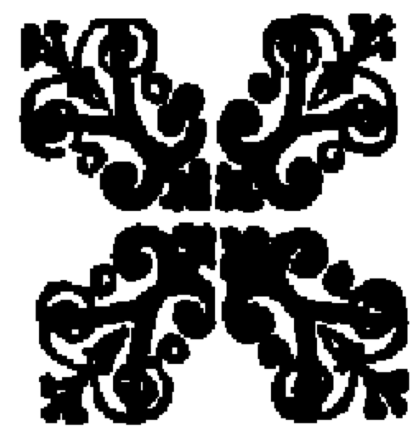
طبع بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٦

المقدمة

كلما تقدم الانسان في معارج التمدن والفلاح تزداد رغبتهُ في استطلاع حقائق الامور واستجلاءِ غوامضها ويدرك لذلك ضرورة البحث عن احوال القدماءِ الاولى ملأت قصصهم صحف الاسفار وسارت بذكر اعمالهم الركبان في سائر الاقطار بعد ان وجفت الارض من هول حروبهم العظيمة التي اثارتها اطاعهم فاتت البشر بفوائد جليلة لم تكن بحسبانهم كيف لا وهي تسهيل انتشار المعارف والعلوم وامتزاج الشعوب لسبب اتساع نطاق الممالك

ولما كان اسم اسكندر المكدوني الكبير المعروف بذي القرنين اشهر من نار على علم وكان ما كُتب الى الان في لغتنا عن الدولة المكدونية والممالك التي انفصلت عنها غير وافٍ بالمطلوب بادرت الى جمع تاريخ هذه الدولة سالكًا فيهِ مسلك

الاوربيين في سرد الاخبار وتحري الحقائق ما امكن
ومتجشماً عناء مطالعة الكتب المطولة
لاقتطف منها ما يلذ للقارىء ذكرهُ
ويطيب لذوي الاستبصار نشرهُ
فكاهة لابناء الوطن
الكرام وتتمة
للفائدة



توطئة

مَثَلُ الشعوب والممالك كافةً كمَثَل الانسان الذي قُضي عليهِ ان يعيش اولاً طفلاً مرضعًا لا يعلم ما حولهُ ولا يطلب غير ما تحتاج اليهِ طبيعتهُ الضعيفة قيامًا بما تقتضيهِ اسباب الحيوة وهو ملقىً اذ ذاك لا ارادة لهُ وعرضة لاسقام وان تكن خفيفة تذيقهُ عذابًا اليمًا وتجرعهُ احيانًا كاس الحمام قبل ان يرى او يدرك من العالم شيئًا. فاذا استظهرت فيهِ عوامل البقآء على دواعي الممات وسرت بجسمهِ قوى الشبيبة ميسّرة من الفواعل الخارجية بما يزيدها زهآء ونمآء ترعرع جبّارًا عظيمًا يتجشم الاتعاب ويقتحم الاخطار ساعيًا لنيل ما تدفعهُ اليهِ الاطماع حتى اذا انقضى زمن الحداثة والفتآء سيق على رغمهِ الى الشيخوخة والهرم فينحلّ هذا المركّب ويصبح امرهُ ماضيًا. على ان بين هاتين الحالتين احوالاً كثيرة يقف الموت فيها للناس بالمرصاد ليخطف منهم عاجلاً او آجلا من يعثر جوادُ عمرهِ في عقبة الحيوة وهكذا نرى الممالك العظيمة التي خفقت اعلام مجدها فوق الامصار لم تصل الى تلك الدرجة العليا من البذخ ورفعة الشان الا بعد

ان تقلبت مدة مديدة على حضيض التواني والخمول وفاجأتها من الرزايا ما اودى بامم كثيرة الى مهاوي الذل او الاضمحلال ولم تلبث زمانًا طويلاً رافلة بحلل السعادة والفلاح حتى ادركها الضعف والضعة فاخذت في السقوط بسرعة او على مهل كما اخذت في الارتقاء قبلاً او حسب الاسباب الداعية الى ذلك

وكما ان المرء يجهل الحوادث التي جرت في صغره اذا لم يخبر بها كذلك الامم فانها قلما تعلم من نفسها شيئًا اكيداً عن اصلها لان احوالها واعمالها قبل تمدنها مستورة عنها بحجب ظلام القدم ولا تدري سوى خرافات منشأها الجهل والاوهام فتنقلها الابناء عن الاباء والاجداد كانها حقائق تاريخية وعليه فالمكدونيون مع كونهم مجاورني اليونان او ممتزجين بهم فقلما يعرف خبرا اكيدا او مهم عن احوالهم قبل ايام فيلبس ابي اسكندر الكبير لجهلهم العظيم وعدم مبالاتهم بتسطير اخبارهم وافعالهم ولقد المع بعض الى تاريخهم القديم وهاك بيان ذلك محصلاً . في القرن الثامن قبل المسيح رحل كارانس الارغوسي سليل اركيلس[1] من بلاده لاسباب سياسية واحتل مع جماعة من

(١) اسم بطل يوناني عبد بعد موته قال اليونانيون انه ابن جو بتير رئيس الالهة وانه عمل اعمالاً غريبة فاق بها جميع البشر وكل ذلك كما لا يخفى حديث خرافة

مواطنيهِ مدينة أَدَسَّا في مكدونية وسكن بها بعد ان دوّخ اهالي تلك البلاد وقد حكى الرواة المورخون اموراً كثيرة بعيدة عن التصديق كان بودنا ان نولي جميعها صحفة الاعراض غير ان غرض هذا التأليف يدعونا الى ذكر بعضها استطراداً فننبه القارئ اللبيب الى غرابتهِ وعدولهِ عن جادة الصواب والامكان لان ما نراهُ غير مستطاع الان كان مستحيلاً قبلاً

زعموا ان آلهة السماء ارادت مساعدة كارانس وارفاقهِ فارسلت اليهم معزى تقودهم الى أدسّا ليستوطنوها ويجعلوها قاعدة مملكتهم الجديدة فدعوها لذلك أجي اي مدينة المعزى وكان اعتقاد المكدونيين بهذا الامر قوياً حتى انهم اتخذوا صورة الماعز رايات ونقشوها على نقودهم وعلم كارانس واصحابهُ ضعفهم وعدم استطاعتهم ملك هذه الارجاء زماناً طويلاً اذا لم يتزلفوا من الاهلين فاخذوا في موادتهم وتعليمهم اموراً كثيرة مفيدة وادخلوهم في دينهم وهذبوا لغتهم بان اضافوا اليها بعض اصطلاحات والفاظ يونانية فتوطدت الالفة بينهم واحب هولاء البرابرة حاكميهم الحديثين وكان ذلك سبباً لعظمة مكدونية المستقبلة

وتبوأ بعد كارانس عرش مكدونية عدة ملوك أركيليين

كانوا يجهدون في توسيع نطاق مملكتهم وشنّ الغارة على الامم المجاورة غيرانهُ لما كان المرء لايدرك كل ما يتمناهُ اخفق مسعاهم احيانًا وذل بعضهم بدلاً من الانتصار لكنهم لم يفقدوا حريتهم واستقلالهم بل ظلوا مرهوبي الجانب مكرّمين

ومن ملوك مكدونية الشهيرين ارخلاًوس الاول الذي ارتقى سرير الملك سنة ٤١٦ ق.م وكان هذا الامير بطلاً مغوارًا فحارب الشعوب المجاورة واستولى على عدة مدن ومن افعالهِ العظيمة التي خلدها التاريخ اجتهادهُ في تهذيب شعبهِ واصلاح بلاده فاجزل صلات الفلاسفة والمعلمين وسهّل لرعاياه وسائل اكتساب العلوم والمعارف وبنى اسوارًا منيعة وحصونًا حصينة ليقي مدائنهُ من هجمات الاعداَء وانشأ طرقًا واسعة ومستقيمة في اكثر اقسام البلاد ليمهد سبل التجارة والفلاح الاان رسول الحمام لم يمهلهُ طويلاً بل اختطفه بعد ملك ست سنوات بينما هو جاهد في تحقيق آمالهِ واجراء اعمال لم يسبقهُ اليها احدٌ من اسلافهِ

وكثرت بعد موت ارخلاًوس الفتن الاهلية لسبب انقسام واطماع العائلة الملكية فاصبحت لذلك مكدونية واهية القوى محلولة العرى وفقدت ما اكتسبتهُ قبلاً من النجاح

ورفعة الشان فدخلها بَرْدلِّيس رئيس الايلريين سنة ٣٨٥ق.م وخلع امينتاس الثاني ابا فيلبس وملّك عوضًا عنهُ أَرْجيوس الذي اقر بسيادة بردليس ورضي بدفع الجزية التي فرضت عليهِ

وكان امينتاس قد استجار بالتساليين والسبرطيين فانتصروا لهُ وطردوا عدوهُ وملكوهُ على جميع البلاد سنة ٣٨٠ ق.م فاستتب لهُ الامر وجعل عاصمة مملكته مدينة بلاّ وعاش بها مدة مديدة بالراحة والهناء متوخيًا صداقة اللكديمونيين والأثنيين

وخلّف امينتاس ثلثة بنين اسكندر وبرديكاس وفيلبس فملك اسكندر سنتين ومات تاركًا المملكة لبرديكاس الذي كان وقتئذٍ قاصرًا ووارث بوزنياس وهو امير اركيلي ضعفهُ فسلبهُ الملك غير ان افتراطس القائد الاثيني حاربهُ وانتصر عليهِ وارجع برديكاس ملكًا واقام وصيًا لهُ بطلماوس اخاهُ النغل فطمع بطلماوس بالملك واراد خلع برديكاس فلم يتسنَّ لهُ ذلك لان الثيبيين اعانوهُ وطردوا المغتصب ولكي يجعلوا خضوع مكدونية لهم ظاهرًا واكيدًا اخذوا منها رهائن ثلثين شابًا من جملتهم فيلبس اخو الملك واصغر اولاد امينتاس

ويلوح ان برديكاس قد نسي احسان الآثنيين اليهِ فلم يكترث لمصالحهم بل جهد في احباط اعمالهم بمدينة امفيبوليس الخاضعة لهم والقريبة من بلادهِ فعلم ذلك الآثنيون ووغرت صدورهم عليهِ وارادوا الانتقام منهُ الا انهم صبروا قليلاً لاشتغالهم حينئذٍ بمهامّ اخرى

ورفض المكدونيون ان ينقدوا الإيلّريين الجزية التي فرضها عليهم بردلّيس حينما خلع امينتاس وملّك ارجيوس فثارت الحرب بين الفريقين ومات بها برديكاس مخلفًا طفلاً اسمه امينتاس فاصبحت حالة مكدونية تعيسة جدًّا لانها كانت مكتنفة بالاخطار من كل جانب وعرضة لهجمات اعدآئها الكثيرين وساحة لنزاع وقتال الامراء الراغبين في الملك . وارسل اليها الآثنيون اسطولاً ليحاربوها ويذيقوا اهلها الذل والنكال انتقامًا من اميرها المتوفى وبلغ فيلبس وهو في دار الغربة موت اخيه والاخطار المحيطة ببلاده فنشط الى اعانتها وجاء لانقاذها من ذلك البلاء والضيق

الباب الاول

من ابتداء ملك فيلبس سنة ٣٥٩ الى حين موت اسكندر الكبير سنة ٣٢٣ ق . م

الفصل الاول

في ملك فيلبس

كان عمر فيلبس حينما اقدم على اعانة بلادهِ والانتصار لابن اخيهِ ثلثًا وعشرين سنة فهذا الامير وان يكن حدثًا ادرك اذ ذاك من الحكمة وفصل الخطاب مالا يدركهُ الرجال المحنكون وابدى في ساحة القتال من الشجاعة والهمة ما تعجز عنهُ الابطال المعدودة لانهُ عاش بمنزل أبامنونداس الثيبيّ زمانًا طويلاً وصاحبهُ في غزواتٍ كثيرة فترعرع جبارا عظيماً وفارسًا مغوارا وقد لزم المدارس في تلك الديار واخذ عن اساتذتها البارعين العلوم والآداب وجال في البلاد اليونانية ليزداد في فن السياسه والنظام العسكريّ علمًا واختبارا وصادف في سياحتهِ هذه كثيرين من المشاهير والفلاسفة

كافلاطون واسوقراطس وارسطوطالس فتولدت فيهِ تلك المبادىء الحسنة والمقاصد العالية التي اعربت عنها اعمالهُ مدة ملكهِ والتي اوصلت مكدونية الى اعلى درجات المجد والفخار

واعلن فيلبس بادىء بدءٍ انهُ اتى ليعين ابن اخيهِ ويكون لهُ وصيًّا وما ذلك سوى عذر يمهد لهُ سبيل ارتقاء عرش المملكة ويستر اطماعهُ ومقاصده توصلاً لما يبتغيهِ لئلا يرجع بالخيبة والفشل قبل ان يقبض على عنان الاحكام ويصبح قادرًا على كبت حاسدهِ واجراء ما يروم اجراءهُ وحيث ان حق الملك على مكدونية لم يكن دائمًا بالوراثة الشرعية وكان الشعب قد بات في ضيق الخناق من حرب الإيلريين ورأى من فيلبس قرمًا شجاعًا وحاكمًا حكيماً اجاب طلبهُ ورضي بهِ ملكًا على جميع البلاد والقى اليهِ مقاليد الامور

اما اعداء مكدونية وقتئذٍ فكانوا الايلريين القاطنين في الجهة الغربية منها والبيونيين الساكنين في الجهة الشمالية والثراكيين اهل البلاد الشرقية والآثنيين ولم يكن هولاء الاعداء قد تعاهدوا على الايقاع بها واذلالها بل كان كل فريق منهم قد زحف بجيوشهِ اما للاغارة عليها وغزوها او لاسعاف احد الامراء وتمليكهِ بدلاً من ابن برديكاس القاصر على ان الإيلريين

بعد نصرتهم التي مر ذكرهـا نهبوا ما امكنهم نهبهُ ورجعوا الى وطنهم ظافرين غانمين وقدر فيلبس بفطنتهِ وحسن تدبيرهِ على صرف اليونيين والثراكيين لانهُ غرهم بالوعود ورشا رؤساءهم فانكفوا الى بلادهم راجعين

وكان الآثيون قد ارسلوا اسطولهم لمحاربة مكدونية متظاهرين بالانتصار لارجيوس الذي ملّكهُ برديلّس الايلّري حينما خلع امينتاس الثاني كما تقدم المقال فاتوا واحتلوا السواحل وامدوا هذا الامير بفرق من جنودهم فتقدم ارجيوس بجيشهِ وحاصر بعض المدن الحصينة وعلم فيلبس بما جرى فجمع فرساناً وعساكر كافية وزحف لقتالهِ فنشبت الحرب بين الفريقين وكانت عواناً وانتصر فيلبس على اعدائهِ في ذلك النهار وقتل ارجيوس وعدداً عديداً من جنوده واسر الباقين

ومن عوائد القدماء جميعاً انهم كانوا يعتبرون اسراء الحرب غنيمة فلا يطلقون احداً منهم بلا فداء ومن لم يفدهِ قومهُ يصبح عبد من اسرهُ وحالة العبيد في تلك الايام حتى عند الشعوب الاكثر تمدناً تعيسة جداً لان الشرائع كانت تخوّل المولى حق التصرف بعبدهِ كيفما شاء اما فيلبس فاظهر في ذلك الاوان شفقة على الاسراء لم يرَ الناس مثلها قبلاً ولعلهُ فعل ما

فعلهُ عن حكمة وتدبير ليستميل شعبهُ ويفتح بابًا لمخابرة اعدائهِ بشان الصلح وكف العدوان فاتى بالاسراء المكدونيين الذين حاربوا ارجيوس ووبخهم على صنيعهم وحلّفهم يمينًا الاّ يخونوهُ ثم ردّ عليهم سلاحهم وجعلهم في عداد جنوده واحضر الاسراء الاثنيين واكرمهم غاية الاكرام ثم اذن لهم بالانصراف الى بلادهم فذهبوا وهم يشكرون لهُ ويثنون على فضائلهِ وفضلهِ

وعقّب هذا الملك الفطين معاملتهُ الحسنة للاسراء باعلان أمفيبوليس مدينة حرة (لان الآثنيين لم يثيروا الحرب الاّ بسببها) وارسل الى آثينا سفراء يسألون مجلسها كف القتال فاحل الاثنيون سفراءه محلاً عاليًا واجابوهُ الى ما طلب

ولم يكن الملك المالك على مكدونية ذا سلطة مطلقة ولا الشعب المكدوني متمتعًا بالحرية التامة بل كان كلاهما يعاني عرق القربة من الشرفاء وروساء الاقاليم الذين كانوا يفعلون ما يرومون بلا معارض اومانع وعلم فيلبس ما وراء تلك الحالة الفوضوية من الاخطار للبلاد ومَا ينجم عنها من انحطاط شان الاهلين فسعى لاصلاح هذا الخلل بحكمتهِ الفائقة كاتمًا ما نوى عمله وجاهدًا في ارضاء واستمالة الجميع فنظم لذلك فرقة اعوان

من الفتيان الاشداء الباسلين واعلى مقامهم ومنحهم القابًا شريفة يمتازون بها عن السوى وكانوا يرافقونهُ اينما ذهب ويتبارون في انفاذ اوامره واتقان النظام العسكري ونظر اولاد الاعيان عظمة هولاء الفتيان وتقدمهم فاقبلوا على الانخرط في سلكهم غير عالمين ان وجودهم ببلاط الملك يجعلهم بمثابة رهائن لاجبار اقربائهم على الاذعان لاوامره ولقد نبغ من هذه الفرقة قواد عظام اعانوا فيلبس واسكندر على افتتاح المدائن والبلدان واقتسموا بينهم بعد موت الاخير ممالك العالم القديم

قال بعض المورخين ان فيلبس قد استنبط ترتيبًا جديدًا لعساكرهِ والصحيح انهُ اخذ ذلك عن اليونانيين ولكنهُ جهد في تعزيز قوتهِ فاحضر اسلحة وافرة وخيولاً كثيرة والاتٍ حربية عديدة وعوّد جنودهُ القتال بالتمرينات الدائمة وجعلهم يحتملون العناء والتقشف بصبرٍ عظيم

ومات في سنة ٣٥٨ ق.م رئيس او قائد البيونيين فاغار عليهم فيلبس بجيوشهِ وكسرهم ثم ارتدّ عنهم بعد ان اخذ رهائن وفرض على الاهلين جزية يقدمونها لهُ في كل عام

ولما كان مشاهير الرجال العاقلون لا يستفزهم الانتصار ولا يبالون بالانتقام بل يتوخون في كل عمل الفائده كان

فيلبس لا يجري امرًا اذا لم يتوسم فيهِ خيرًا لهُ ولبلادهِ وعليهِ ففي هذا العام حينما رجع من بيونيا عوّل على محاربة الإيلريين ورئيسهم بردلّيس لا انتقامًا منهم لكونهم اشدّ الناس عداوة لشعبهِ ولعائلتهِ ولكنهُ راى ضرورة انشاء عمارة بحرية فاراد توسيع نطاق مملكتهِ الى سواحل بحر الأدرياتيك واخضاع الامم المجاورة ليتسنى لهُ تنفيذ مقاصدهِ العظيمة بلا خوف او حرج. فتقدم بعشرة آلاف راجل وستمائة فارس وكان بردلّيس قد نهض بعساكرهِ فالتقى الجيشان وانتشب القتال ويظهر ان الايلريين قد ثبتوا في ذلك النهار ثبات الابطال لانهم لم يولوا الادبار قبل ان قُتل رئيسهم بردلّيس الشيخ وسبعة الاف رجل فدخل فيلبس بلادهم واخضعها واضاف منها الى مملكتهِ ما راى اضافتهُ لازمة وفرض على الباقين جزية واخذ رهائن وانكفأ عنهم راجعًا

ولم يرتد فيلبس الى عاصمتهِ بعد هذا الانتصار ليتمتع بالراحة والسلام بل ليفكر في فتح حروب جديدة يتذرع بها الى مدّ سلطتهِ على البلاد اليونانية واننا سنبين فيما ياتي من الكلام كيف انهُ كان يغيّر الاسباب وينوع الوسائل لادراك غايتهِ الوحيدة والحق يقال ان هذا الملك الشهير قد نال بفطنتهِ

وتدبيرهِ ما لم ينلهُ احد قبلهُ بالشجاعة والحظ

وفي سنة ٣٥٧ ق.م كان يفكر في الاستيلاء على امفيبوليس وهي المدينة التي اعلن استقلالها في ابتداء ملكهِ ارضاء للاثنين الذين استعمروها في القرن السابق وعدوها من احسن املاكهم الخارجية لوقوعها في سهل مخصب جدًّا وعلى ضفة نهر كبير يصلح لسير السفن وقربها من آجام جبل بانجيوس ومعادنهِ الذهبية غير ان الأمفيبوليين كانوا عاصين وقتئذٍ الحكومة الاثينية طمعًا في الاستقلال ولم يقدر الاثينيون على استرجاعها لضعف قوتهم البرّيّة واعتمادهم على جنودهم الغريبة فاخفق مسعاهم ولكن لم يخب املهم من ذلك

ويلوح ان الأمفيبوليين قد ادركوا مقاصد واطماع ملك مكدونية او اوجسوا خوفًا من استعداداتهِ فاتحدوا مع الجمهورية الأولنثية وخالوا انهم اذا ولوا بهذا الاتحاد كانوا غالبين فشرعوا يشتمون اعداءهم غير مبالين اما فيلبس فاتخذ ذلك ذريعة لمجاهرتهم بالعدوان وهمّ بالهجوم عليهم. وادرك الاولنثيون عظم الخطر المحيط بهم فارسلوا رسلاً الى آثينا يسالون اهلها إمدادًا ويعرضون لهم ضرورة محاربة هذا الملك الجبار الذي ان ظلّ سائرًا على هذا المنوال في سبل الافتتاح والفلاح لا يامن احد

من اليونان شرّهُ

ومعلوم ان المكدونيين كانوا غير قادرين وقتئذٍ على محاربة الآثينيين والاولنثيين فلوتم ذلك الاتحاد لتقهقروا وذلوا وكسفت شمس نجاحهم بُعيد الاشراق ولكن كيف يتم هذا الامر وفيلبس واقف بالمرصاد لانهُ علم حالاً بما جرى فارسل سفراءَ الى آثينا ليسترضي رؤساءَها ويستميلهم باية وسيلة كانت فوصل سفراؤهُ وغرّوا اعيان الآثينيين بالمال والوعود واقنعوهم ان فيلبس اذا حارب الأولنثيين واستولى على امفيبوليس يرجعها للآثينيين لا محالة ويرضى جزاءً على فعلهِ هذا اخذ بدنا وهي مدينة قليلة الاهمية بالنسبة الى تلك فاغتروا جميعًا بوعوده وصدقوا كلامهُ وردّوا رسل الأولنثيين خائبين

ومما يشهد للامير المكدوني بالبراعة وطول الباع في جميع ضروب السياسة والخداع هو انهُ لما تم لهُ ما ارادهُ من منع اتحاد الأولنثيين مع الآثينيين بادر الى حلّ عرى الاتفاق بين الاولين والامفيبوليين وذلك بطريقة لطيفة سترت مقاصدهُ الخفية عن اعين رؤساء الاولنثيين الذين وثقوا بوعودهِ ورغبوا في محالفتهِ املاً بالكسب تاركين الامفيبوليين وشانهم ولكن هيهات انما يأملون اذ المنافع القليلة التي يحصلون عليها حالاً لا توازي

الاضرار والخسائر التي ستلحق بهم في المستقبل من هذا الملك القادر العظيم ولو فقهوا لعرفوا ان الفائدة كل الفائدة في احباط اعماله واضعافهِ قبل ان تقوى شوكتهُ ويمتد سلطانهُ فيصبح اذلالهُ الذي يرونهُ الان صعبًا مستحيلا

وزحف بعد ذلك الى امفيبوليس وشدد عليها الحصار فاستصرخ الأمفيبوليون الاثينيين وارسلوا اليهم سفراء يعلنون خضوعهم لهم ويطلبون امدادًا فردّ الاثينيون السفراء خائبين لان فيلبس كتب اليهم كتابًا يبرهن فيهِ عن صداقتهِ ويجدد لهم وعوده وعهوده فحرمت هذا المدينة كل مساعدة خارجية ولم يمكنها مقاتلة المكدونيين زمانًا طويلاً ففتحت لهم ابوابها واستسلمت بلا شروط

ولما كان جلّ رغائب فيلبس توسيع نطاق مملكتهِ وتكثير اهلها لم ياخذ الامفيبوليين بذنبهم بل عفا عنهم جميعًا مكتفيًا بنفي بعض الرؤساء الثائرين واضاف هذه المدينه الى بلاده خلافًا لما وعد بهِ الاثينيين الذين لم يستطيعوا قتالهُ لانهماكهم في الفتن الداخلية وحروبهم الاهلية

كان كوتيس ملك ثراكة قد اعتنق حديثًا الديانة اليونانية فاصبحت لهُ شغلاً شاغلا لانهُ هام بها وبمحاسن الالهة

حتى توهم ان منيرفة إلهة الحكمة تهواه فغادر قاعدة مملكتهِ وذهب الى داخل البلاد ليعيش في الآجام حيث مياه الانهار تجري متدفقة فوق الحصى واليرمع ويناجي معبودتهُ وإن شئت فقل ليناجي اوهامهُ ولكن من درى طباع القدماء وعرف اعتقادهم بان الالهة تتجسد احياناً لتظهر للناس لا يغرب عليهِ هذا الامر ولا يعدّه عجيباً

هكذا كانت حالة ملك ثراكة حينما اقدم فيلبس على افتتاح قسم منها فتقدم المكدونيون الى بعد ثلثين ميلاً من أمفيبوليس ووصلوا الى مدينة كرينيذس الواقعة عند سفح جبل بانجيوس فاعجبهم منظر تلك الارض وجمالها لانها كانت محاطة بالبحر والجبال الشامخة وكانت العيون والجداول تجري فيها متسلسلة فتدهش الناظر حتى يخال انها احدى جنان الدنيا غير ان فيلبس لم يلتفت الى كل ذلك بل ذهب توًّا الى مناجم الذهب فطرد البرابرة واخذ في تهيئة ما يلزم لاستخراج هذا المعدن الثمين ثم ترك جماعة من رجالهِ ليستوطنوا هناك وقفل راجعاً قيل ان كمية الذهب الذي كان المكدونيون يخرجونهُ من هذه المعادن في كل سنة تعدل مائتي الف ليرة انكليزية

وكانت بلاد تساليا مرتبكة جدًّا لسبب انقسام روسائها فحاربها فيلبس والجأ اهلها ان يقدموا لهُ جزية في كل عام ثم حالف ملك ايبرس وتزوج أولمبياس اختهُ وكانت أولمبياس بديعة الحسن والجمال ذات فكر ثاقب وذكاء عظيم فاحبها فيلبس وطلب الاقتران بها

وفي السنة التالية تعاقبت عليهِ المسرات لانهُ انتصر على الإيلريين والبيونيين الذين جاهروا بالعصيان وحازت خيوله قصب السبق في ميدان الالعاب الأولمبية وولدت زوجتهُ ابنًا بشر المبصرون انهُ يكون عزيزًا سعيدًا

وكان فيلبس مهذبًا اديبًا يعرف فائدة العلم ويحب العلماء فكتب الى ارسطوطالس حين ولادة ابنهِ اسكندر ما ياتي: اعلم انهُ قد ولد لنا ابن فشكرًا للآلهة على هذه الهبة التي منحتنا اياها في ايام ارسطوطالس فلا ريب انك ستعتني بهِ ليحاكي اباهُ ويكون اهلاً لان يملك على مكدونية

كان سكان كريسًا وهي مدينة واقعة الى الجهة الجنوبية الغربيَّة من ذلفي(١) يجبرون الزوَّار ان يدفعوا لهم مكوسًا فغضب

(١) مدينة في بلاد فوكس اسمها الآن كاستري قد اشتهرت جدًّا في الازمنة القديمة لسبب هيكل الاله ابولون الذي كان الناس يقصدونهُ من

عليهم مجلس الأمفقطيون[٢] وحاربهم سنة ٥٩٥ ق.م واهلكهم جميعًا واعلن ان اراضي كريسًّا المخصبة مقدسة لا يجوز حرثها وفي ايام الملك فيلبس ثارت الحرب الفوكيّة او المقدسة[٣]

كل فج عميق لاستشارته في امورهم الخطيرة وحُرق هذا الهيكل سنة ٥٤٨ ق.م فجددوا بناءهُ وجعلوهُ اجمل مما كان قبلاً اما الاموال التي كانت به فكثيرة لانهُ ما عدا القرابين والهدايا الثمينة التي يقدمها الزائرون والملوك كان فيهِ لكل ولاية يونانية خزينة تذخربها اموالاً واشياء ثمينة

وطريقة استشارة الاله كانت بواسطة امراة تجلس على كرسيّ بالقرب من مغارة في وسط الهيكل تتصاعد منها ابخرة تسكر من يستنشقها والكلمات التي كانت تفوه بها المرأة بعد استنشاق تلك الابخرة وان تكن غير صريحة كانت الكهنة تكتبها باعتناء وتحسبها وحيًا واجب التاويل ثم تنظمها بيت شعر او شطرًا وتدفعها الى السائل والابخرة المذكورة لا وجود لها الان في تلك الانحاء فلا نعلم ما هي ولكنها على كل حال من اباطيل الكهنة المشعوذين

(٢) هو مجلس نواب الولايات اليونانية كان مركزهُ في ترموبيلي ومدينة دلفي وكانْ لكل مدينة فيهِ نائبان احدها للاعتناء بامر الذبائح والاحتفالات الدينية والآخر لفصل الخصومات والقضاء وكان اليونانيون يعتبرونهُ كمجلس عالٍ لهُ الحق بالحكم في المسائل السياسية والعمومية

(٣) اننا لا نطيل الكلام عن هذه الحرب لان الاسهاب في هذا الموضوع لا يهمنا بل هو من مباحث تواريخ اليونان العامة انما نذكر طرفًا منهُ ليمكننا سرد اعمال فيلبس واغناء المطالع عن مراجعة كتب اخرى

التي امتدّ سعيرها الى كل البلاد اليونانية وسببها ان الفوكيين حرثوا قسماً من اراضي كريسًا المشار اليها فحنق مجلس الامفقطيون وامرهم بدفع غرامة عقابًا لهم على ما جنوهُ فابوا دفع تلك الغرامة وكان ذلك داعيًا الى انتشاب القتال بينهم وبين الذلفيين والثيبيين الذين نهضوا لمحاربتهم متظاهرين برغبتهم في الانتصار للاله ابولون والصحيح انهم اقدموا على هذا الامر انتقامًا من الفوكيين اعدائهم القدماء

واستولى الفوكيون سنة ٣٥٧ ق.م على ذلفي واخذوا الاموال الموضوعة بهيكلها وانفقوها في سبيل تجهيز جنودٍ كافية للقاء اليونانيين الثائرين لنصرة الدين ودامت الحرب مدة مديدة ولم يطفئ نارها سوى الامير المكدوني كما سترى

وحفظ فيلبس بادىء بدء الحيادة في هذه الحرب لانهُ رام مصادقة جميع الاحزاب واغراءهم بالقتال ليضعفهم ويتسنى لهُ ادراك ما يتمناه غير ان الاثينيين عرفوا ما وراء سياستهِ من الاخطار لهم فرقبوا اعمالهُ وجهدوا في احباطها حتى انهُ لما استصرخه الذلفيون بادروا الى الاستيلاء على مضيق ثرموبيلي ومنعوا جيوشهُ من العبور

وحالف الاثينيون الفوكيين وسعوا معهم لقتال المكدونيين

بالبلاد الثراكية اجابة لطلب الاهلين فملكوا خرزونيزس (الان مدينة كاليبولي) وفتح فيلبس عدة مدائن في ذلك الاقليم الا انهُ خسر وقتئذٍ احدى عينيهِ بجرح اصابه في وجههِ فاصبح اعور وحدثت بعد ذلك حروب كثيرة بينهُ وبين الفوكيين كانت نتيجتها وبالاً على هولاء

وكان فيلبس طامحًا ببصرهِ الى الاستيلاء على بيزنطيوم (الان القسطنطينية) فاقلق ذلك الآثينيين لان المدينة المذكورة كانت محط تجارتهم ومهمة جدًّا لسبب موقعها الحسن وكان الملك اخذًا في الاستعداد لهذه الحملة ولم يعقهُ عنها سوى اسقام وبيلة اعترتهُ على اثر الجراح التي اصابتهُ في الحرب الاخيرة ففرح الآثينيون واستبشروا لاسيما حينما بلغهم خبر موته كما اشاع البعض فاستأنفوا القتال في الحرب المقدسة انتصارًا للفوكيين

ونظر ذمستينوس[1] عظمة مكدونية وتقدمها وعرف اطماع ملكها وحيلهُ فقام بين قومهِ نذيرًا يحذرهم من التواني ويحرضهم

(١) هو خطيب الآثينيين الشهير ولد سنة ٣٨٥ ق.م وتيتم صغيرًا فاختلس اوصياؤهُ الثلاثة اموالهُ واهملوا تعليمهُ وتهذيبهُ ليشب جاهلاً غير انهُ لزم على ما اخبر القدماء الخطيبين إزيوس وإزوكراطس والفيلسوف افلاطون ولما بلغ السنة الثامنة عشرة من عمرهِ طلب محاسبة اوصيائهِ وشكا احدهم المسمى افوبس إلى الحكومة الآثينية ففرمتهُ بدفع عشر زنات ويظهر

على الانتباه الى دسائسهِ والسعي في احباط اعمالهِ فالقى لذلك خطبًا عديدة دعوها الخطب الفلبيّة ويمكننا القول ان هذا الرجل العظيم قد اضر فيلبس ببلاغتهِ اكثر مما لو كان اميرًا او قائدًا وجهز لمحاربتهِ جيشًا عرمرمًا جرارًا الان صوتهُ كان ينطلق فوق رؤوس الجموع كصخب الرعد المصطلق فيهيج في القلوب حاسات الوطنية والشجاعة والخطبة الفلبية الاولى القاها سنة ٣٥٢ ق.م وهذا معناها

ايها الاثنيون قد سئتم حالاً والاخطار اصبحت محدقة بكم من كل جانب فلا تقطنوا من الفلاح واعلموا ان تلك الحالة السيئة وهذه الاخطار ناجمة عن التواني والاهمال فاصلحوا اعمالكم تفوزوا بما ترغبون واذا نظرتم الى ضعفكم واقتدار فيلبس عدوكم الالد فلا تجزعوا بل ثابروا على الثبات لتسترجعوا املاككم

ان ذمستينوس نشط بعد هذا الامر الى الخطابة فخطب في الجمهور اول مرة ولم يحسن الالقاء لانهُ كان الثغ وكان صوتهُ ضعيفًا فجهد في اصلاح هذا الخلل وتمكن من ذلك بوضع حصى في فمهِ وانشاد ابيات وهو يركض على شاطئ البحر او يرتقي الروابي والاكام وعاش مدة في مغارة ينسخ مرارًا تاريخ ثكوذيدس ليعتاد البلاغة ويقتبس منهُ احسن اوجه التعبير والمظنون ان في هذه الرواية مبالغة ولكن كيف كانت الحال فقصة ذمستينوس تعلمنا الصبر ووجوب مزاولة الامور التي نروم ادراكها ولو كانت صعبة

التي حازها المكدونيون ألستم انتم الذين فتحوا تلك البلاد حينما كانت مستقلة وكان اهلها يدافعون بغيرة ونشاط عن حريتهم والوطن ولولم يكن فيلبس جسوراً لم يقدم على الحروب التي أثارها بشجاعة رحمية ولم يصل ومملكته الى هذه الدرجة العليا من العظمة ورفعة الشان ولكنهُ علم علْم اليقين ان المدائن والحصون هي جائزة لمن نال قصب السبق في ميدان الفطنة والبسالة وان مال الخامل المتواني هو ملك النشيط النبيه فهبوا ايها الأثينيون من رقدة الإهمال واقتدوا بفيلبس لتسترجعوا ما فقدتموهُ والزمان دولاب فلا تظنوا الملك الهًا لا ينكب إنْ هو الاَّ انسان خاضع لصروف الدهر واحكام التغيير ولهُ اعداء ومبغضون وحاسدون يتمنون سقوطهُ غير انهم لا يستطيعون المجاهرة بالعدوان خوفًا منهُ فاعضدوهم اذًا ليعينوكم عليهِ فالى مَ هذا الخمول يابني الوطن وحتى مَ تصبرون العلكم ترقبون حادثًا او تسعدون لامر مهم واي امر يهم اناسًا احرارًا اكثر من الذود عن حريتهم وشرفهم والى مَ تنفقون الساعات والاوقات بالاجتماعات العمومية لاستعلام الاخبار واي خبر خير هذا ان مكدونيًا قد استظهر واستولى على بلاد اليونان . فيلبس لم يمت ولكنهُ مريض غير انهُ اذا مرض او

مات هل تصطلح احوالنا ان لم نشمّر عن ساعد الجد والاقدام.
ثم عقب إنذاره هذا بكلامٍ اشار فيهِ الى خلل الحكومة والجيش وخفة الشعب الى ان قال:

من الواجب الان ان تجهزوا سفنًا كافية وان تستعدوا انتم للكفاح ولا تتكلوا على الجنود الغريبة المستأجرة لانها جيوش في سجلات الحكومة لا في ساحات الضرب والطعان

وكان لكلام دمستينوس تأثير عظيم في قلوب الآثينيين لانهم ارسلوا جنودًا الى بلاد ثراكة امنعوا المكدونيين من التقدم الى بيزنطيوم ويلوح ان فيلبس لم يرد قتالهم فقفل راجعًا الى مكدونية واقام فيها سنتين غارقًا ببحار الملذات والتنعم ومشتغلاً بتحسين عاصمتهِ وتزيينها بالابنية الجميلة وكانت جواسيسه تجول دائمًا في المدائن اليونانية لتستعلم الاخبار وترشي الرؤساء كي يحازبوا سيدها

وزحف فيلبس سنة ٣٤٩ ق.م الى بلاد الجمهورية الاولثية واستولى على عدة مدائن منها ثم تقدم الى اولنثة ليحاصرها فرعب الاولنثيون وارسلوا اليهِ رسلاً يستعطفونهُ فاجابهم انهُ يلزم لرجوعي عنكم احد امرين اما خروجكم من اولنثة او خروجي من مكدونية ولما راوا انهُ لاسبيل الى السلم وجهوا سفراء الى

أثينا يطلبون امداداً فانتصرلهم ذمستينوس وخطب على قومهِ خطاباً انيقاً ففتن الالباب بسحر كلامهِ واستمال القلوب بمعجزات بيانهِ فاذعن لهُ الاثينيون وارسلوا امداداً الى الاولنثيين على رغم بعض الروساء المحازبين فيلبس على ان ذلك الجيش المرسل لاغاثة المحصورين لم يات بنتائج مهمة لجهل قائدهِ وطيشهِ واستصرخ الاولنثيون الاثينيين بعد ذلك مرتين وكان ذومستينوس ينهض في كل مرة ويحث مواطنيهِ على اعانة هولاء التعساء بعبارات تشجع الجبان وتثير الحمية بالرجل الخامل الذليل فيحملهم على مساعدتهم ببعض فرقٍ من الجنود ولكن ما الفائدة من كل هذا والامير المكدوني لهُ بين اعدائهِ نصراء واحزاب استمالهم لهُ من قبل بالدرهم والدينار ففتحت لهُ المدينة اخيراً ابوابها فدخلها ظافراً ونهبها ثم خربها واستعبد جميع الاهلين الذين نجوا من القتل بسيف عساكرهِ الابطال

واستتب لهُ الامر بقهرهِ هذه الجمهورية القوية وافتتاح اراضيها الواسعة فامن شر مجاوريهِ الذين خضعوا لهُ جميعاً ما عدا سكان قسم ثراكة الشمالي فاخذ يفكر الان في الاستيلاء على مضيق ثرموبيلي المدعو في الازمنة القديمة ابواب بلاد اليونان ويحاول تملك الألسبونتوس (بوغاز الدردنل) اما هاتان

الجهتان فكانتا مهتين جداً لان الاولى كانت كحاجز يمنعهُ من ولوج الولايات اليونانية والثانية طريق تجارة الاثينيين الذين كانت سفنهم تسير في تلك البحار لتجلب الحنطة اللازمة لهم من اراضي القرم (اسمها قديمًا توريكا خرزونزس) والبلاد الواقعة بالقرب من بونتس اكسينوس (بحر الاسود) على انهُ علم ما دون ذلك من الاهوال لان اليونانيين اذا تاكدوا ما نواه لا بد ان يتألبوا وينهضوا يدًا واحدة لمحاربتهِ فسعى في ستر مقاصدهِ ببرقع الخديعة والمكر متظاهرًا بموادتهم والتزلف منهم ودعاهم جميعًا الى الوليمة والاعياد العظيمة التي عملها في مدينة ديوم فاتوا جمًّا غفيرًا وبقوا هناك تسعة ايام ثم انصرفوا مسرورين بما نالوهُ من الاكرام والاحسان فزاد عدد محازبيهِ واصدقائهِ

وبينما كان الداعي والمدعوون آخذين في ارتشاف كؤوس الصفو والانشراح بمدينة ديوم كانت السفن المكدونية تجول في البحر وتفتك بسكان الجزائر الخاضعة لآثينا ثم تقدمت الى اراضي أتيكا بعدما استولت على اسطول اثيني فنهبت ما نهبتهُ وقفلت راجعة الى مكدونية بالغنيمة والظفر ولا يخفى ان اثينا في تلك الايام كانت سيدة البحار اليونانية الا ان رفعة الشا تورث الاحتقار بالسوى ويورث الاحتقار الاهمال وما بعد الاهمال

غير الخمول ولم يقصد فيلبس بهذه الحملة سوى تفريق كلمة اليونانيين لانهُ بينا كان يحارب شعباً منهم كان يجهد في مصادقة آخر

وكانت الجمهورية الاثينية غيرقوية الاركان لخفة الشعب وكثرة الاحزاب نعم ان الاثنيين كانوا وقتئذٍ ابرع امم العالم في المعارف والفنون ولم تزل كتبهم الى الان معجزات لاولي النهى ولكن ماذا تفيد علومهم وفطنتهم اذا لم تساعدهم على اطفاء نار الانقسام والفتن الاهلية وتمهد لهم سبل الانضمام لمحاربة عدوّ قادر محتال يروم نزع حريتهم والاستيلاء على بلادهم وكان لفيلبس بينهم نصراء وخلان يحبطون اعمالهم ويخبرونهُ بما يفكرون وما يجرون

وهاج الاثينيون في ذلك الحين لكلام خطبائهم الصادقين واخذوا في الاستعداد لقتال المكدونيين واغراء الجمهوريات الاخر بمحالفتهم والانتصار لهم وعلم بذلك فيلبس فشرع يتملقهم ويظهر لهم رغبتهُ في السلام فرضوا بابرام الصلح وارسلوا اليهِ سنة ٣٥٧ ق.م سفراء ثلث مرار من جملتهم ذمستينوس الذي وافق قومهُ على هذا الامر لانهُ قال ان صلحاً رديئاً لاولى من حرب مشومة ففي المرة الاولى اتى السفراء لمخابرتهِ بشروط السلام وفي

المرة الثانيهِ جآءوا للتصديق على العهود المقترحة وفي المرة الثالثة وافوا ليروا هل اجريت تلك المواثيق والعهود على ان فيلبس في اثناء ذلك هجم على القسم الشمالي من البلاد التراكية واستولى عليهِ وقاد ملكهُ اسيرًا ثم افتتح مضيق ثرموبيلي ودخل الى بلاد فوكس وخرب اثنتين وعشرين مدينة منها في اقل من اثنين وعشرين يومًا فخضعت لهُ تلك الجمهورية الشهيرة في الازمنة القديمة بقوتها وثروتها وكونها مجلس الامفقطيون ومحل وحي دلفي وكل هذه الاعمال لم تهيج اليونانيين عليهِ بل لبثوا ساكنين لا يبدون حراكًا

اما السفراء الاثينيون المرسلون الى فيلبس فكانوا غير متفقين في الآراء والاعمال لانهم منذ خروجهم من آثينا اخذوا في النزاع واللجاج. قال ذمستينوس يصف خبثهم وفساد اخلاقهم ان سعادة فيلبس تمت في انهُ كان مفتقرًا الى رجالٍ خائنين فوجد منهم عددًا عديدًا بلغ من الخبث والدناءة اكثر مما كان يامل ولما وصل السفراء الى بلاّ عاصمة مكدونية سُمح لهم بالدخول على فيلبس فامتثلوا بين يديهِ وتكلم احدهم اسخينوس وذكَّر الملك باحسان الاثنيين الى اجدادهِ وآبائهِ وكيف انهم انقذوا اولاد امينتاس على يد قائدهم افيكراتس من مخالب

اعدائهم وأبان اعتداء فيلبس عليهم لا سيما في افتتاحهِ امفيبوليس لان اباه امينتاس صرّح بكونها ملك لاثينا ثم طلب اليهِ ان يردها عليهم حسبما يامر العدل والانصاف

ان كلام هذا الخطيب غير مطابق لمقتضى الحال لكونهِ اتى ليتوسط الصلح فطلب امرًا يجعل الصلح مستحيلاً لانهُ كيف يمكن اميرًا قويًا يرى السعد خادمهُ وجيوشهُ منتصرة في كل مكان ان يرضى بتخلية مدينة عظيمة لاجل مهادنة قوم ضعفاء تجبرهم الاحوال على مسالمتهِ وإرضائهِ

وكان الرسل والملك واعوانهُ شاخصين الى ذمستينوس آملين انهُ سيلقي في حضرتهم خطابًا انيقًا بليغًا يفتن الالباب ويسلب القلوب غير ان ذلك الخطيب المفلق رب الفصاحة والكلام ذل لدى عدوه فيلبس وتلعثم لا بل خرس ولم يستطع ان ينطق ببنت شفة فكأن هذا الامير الظافر لا يغلب بجميع ضروب القتال وانواع السلاح او كأن خوفهُ حلَّ في قلب خصمهِ الاثيني فعقد لسانهُ واجمد قريحتهُ وانساهُ كونهُ خطيب اليونانيين الفريد

ولما فرغ الرسل من عرض حاجتهم اجابهم فيلبس على طلبهم بعبارات منسجمة اعربت عن ذكاء عظيم وحكمة وافرة

ودحض براهينهم بحجج دامغة وكلام لطيف يستميل القلوب
وينفي الغضب ضاربًا صفحًا عن خجل ذمستينوس ومظهرًا للعالم
ان الرجل الذي طعن فيهِ بجدة وجسارة في محافل اليونان
لم يستطع ان يلفظ كلمة واحدة امامهُ ثم صرفهم بعد ان اعطاهم
كتابًا الى الشعب الاثيني واكد لهم اميالهُ السلمية وانهُ يحب
محالفتهم ان ارادوا ولا يزال في سائر الاحوال يعدّ اكرامهم واجبًا
فذهب السفراء مسرورين وبلغوا الاثنيين نتيجة اعمالهم وحثوهم
جميعهم ما عدا ذمستينوس على محالفة ملك مكدونية
وفي اثناء ذلك استصرخهُ الثيبيون الذين زهقت انفسهم
من حرب الفوكيين او الحرب المقدسة فبادر الى اعانتهم واخضع
البلاد بمدة اثنين وعشرين يومًا كما تقدم المقال واعدًا الاهلين
انهُ ينتصر لهم اذا انقادوا لهُ لدى مجلس نواب اليونان فاغتروا
بوعدهِ واستسلموا لهُ طائعين ولم يكن حاضرًا في الامفقطيين
غير نواب الامم المجاهرة لهم بالعدوان فاصدروا امرًا مفادهُ
اخراجهم من الاتحاد اليوناني وحرمهم حق ارسال نواب الى
الأمفقطيون ووجوب بيع سلاحهم وخيلهم واهداء ثمنها للاله
ابولون وانهُ يمكنهم حرث ارضهم وزرعها ولكن يجب عليهم نادية
ستين زنة ذهبًا في كل سنة حتى يعوضوا الاله ما سلبوهُ وان

مدائنهم تدك حصونها واسوارها ومنازلها كي لا يبقى في البلاد سوى قرى ودساكر وحيث ان الكورنثيين قد اسعفوهم يحرمون حق رئاسة الالعاب البيثنية ويعطى هذا الامتياز لفيلبس ويزاد حق ارسال نواب الى مجلس عموم الامة العالي

هذا هو القرار الوحشي الذي اصدره مجلس الامفقطيون ودفعهُ الى فيلبس ليتولى أجراءه ولما علم بهِ الفوكيون رجفت قلوبهم وخارت قواهم فما كنت ترى سوى شيخ عاجز يبكي ايامه الماضية وام حزينة تندب سوء حظ بنيهـا وتتوجع لبلاياهم المستقبلة واحداث لم يعرفوا بعد لذة العيش ما هي اسفين شاكين وما ينفعهم الاسف والشكوى وهل يزيل الحزن مصيبة او يخفف بلوى تلك المناظر التي تفتت الاكباد وان كانت جمادًا لم تؤثر بالامير المكدوني بل جد في انفاذ امر المجلس وخرب بلاد عامرة آهلة وبقيت هذه المدائن العظيمة بعد هدمها زمانًا طويلًا كآثار تدل على ظلم الظالمين فيقف لديها المسافر الغريب وحاسات الانسانيه تهيج لهُ البكاء لانهُ يشعر بعظم الرزايا التي فاجأت الاهلين والجائتهم الى هذه الحالة التعيسة

وبلغ الآثينيين هذه الاخبار فرعبوا وخشوا حدثان الدهر واخذوا في تحصين الحصون وتجهيز الجنود وامروا سكان

ضواحي المدينة ان يدخلوها لان الحرب على الابواب وعلم فيلبس باستعداد الآثينيين وخوفهم فكتب اليهم يخبرهم بمعاملتهِ للفوكيين وانهُ بلغهُ امر استعدادهم لقتالهِ وينصح لهم ان يرجعوا عما عولوا عليهِ والا يندمون ولات ساعة مندم

وطار خبر نصرات وحكمة فيلبس في الآفاق فارسل اليهِ ملك الفرس رسلاً ليتجسسوا بلادهُ متظاهرين بانهم يرغبون في مصادقتهِ وعقد عهد محالفة معهُ فواجه هولاء السفراء اسكندر لان اباهُ كان غائباً فذهلوا من فطنتهِ مع انهُ لم يتجاوز وقتئذٍ السنة الثانية عشرة من عمره ويلوح انهُ كان من صغرهِ ميالاً لاستجلاء غوامض الامور واستطلاع اخبار الغرباء واحوالهم لعلهُ يصادف فيها حكمة او فائدة فاستخبر الرسل عن الحكومة الفارسية وكيفية قتالهم وعن طباع ملكهم ورؤسائهم وسألهم سؤالات اخرى كثيرة تدلنا على نوايا فيلبس ومقاصده العظيمة التي كان يحدث ابنهُ بها فعجبوا من ذكائهِ وقالوا لهُ ان ملكنا قادرٌ وغني ولكنك ستكون ملكاً حكيماً وشهيرا

وكان السبرطيون جاهدين في استرجاع بلاد مسينيا وارغوس واركاديا التي كانت خاضعة لهم قبلاً ولقد كادوا ينالون ما يرغبون لولا اعداؤهم الثيبيون الذين أثاروا روح

الحمية في الاهلين وطلبوا الى الملك المكدوني ان ينتاش هولاء الاقوام الضعفاء من مخالب مجاوريهم فتلقى فيلبس هذا الطلب بالبشاشة والقبول ولكي يستر اميالهُ ببرقع العدل والانسانية جعل مجلس الامفقطيون يصدر قرارًا يسالهُ فيهِ محاربة آلسبرطيين ومنعهم من الاعتداء فجهز الجنود اللازمة وهمَّ بالهجوم عليهم

وعلم اليونانيون بما دبر فيلبس وما نوى فتجدد خوفهم منهُ واخذوا يوطّنون النفس لرزايا الحرب وحادثات الزمان اما الكورنثيون فكأنهم تذكروا ما اناله فيلبس من المساوئ فعمدوا ان يمنعوهُ الدخول الى سبرطة وشرعوا في حمل السلاح وتقوية الحصون واستاجروا عساكر غريبه واقبلوا هم ايضًا يتجندون فماجت المدينة بالابطال والفرسان وكان هذا الاستعداد شغلاً شاغلاً للجميع حتى ان ديوجنس[1] الذي كان دابهُ السخر من

(١) هو زعيم الفلاسفة الكلبيين قيل انهُ عمل في حداثتهِ نقودًا زائفة ولما اشتهر امرهُ فرَّ هاربًا الى آثينا خوفًا من القصاص الشديد الذي يلحق مقترفي هذا الذنب ولما القى العصا قصد انتيثنيس ليقرأ عليهِ الفلسفة فرفض هذا الفيلسوف ان يقبلهُ لانهُ كان آلى على نفسهِ ان لا يعلم احدًا أما ديوجنس فتغلب عليهِ بثباتهِ وذلك ان انتيثنيس تهددهُ بالعصا ان لم يبادر الى الخروج من منزلهِ فاجابهُ مطأطئًا راسهُ الا اضرب ولكن اعلم انك طالما

الناس طفق يدحرج برميلهُ بسرعة واهتمام ليظهر للكورنثيين المخنثين جنونهم في اقدامهم على مقاتلة فيلبس النشيط

وتبارى المكدونيون وحلفاؤهم والسبرطيون ومن حازبهم في مصادقة الاثينيين لان الاولين قصدوا بذلك منع اتحاد عمومي والآخرين خشوا قوة فيلبس و بطشهُ فارادوا التزلف من منازعيهم القدماء في السيادة والفخار ليتعاضدوا و يقهروا عدو استقلال وحرية اليونان وكان لفيلبس بين الاثينيين كما تقدم

نتكلم لست أُبالي بضرب العصي فقبلهُ الفيلسوف تلميذًا ومن ذلك الحين ابتدأ يعيش عيشة بسيطة جدًّا كما يليق بحالة منفيّ تعيس نظيرهُ وكان يحمل جرابًا يضع فيهِ طعامهُ اذ لم يكن لهُ محل مخصوص يأْوي اليهِ لياكل او ينام او يدرس بل كان يربض في كل مكان براهُ لذلك كان يقول ان الاثينيين بنوا لي قصرًا عظيمًا لآكل فيهِ مشيرًا بهذا الكلام الى بوابة هيكل جوبتير وكتب الى احد اصدقائهِ يسأَلهُ ان يكتري لهُ دارًا يسكنها ولما نظر صديقهُ غير مهتم كثيرًا بطلبهِ سكن في برميل وقد اخبر ذلك هو نفسهُ في رسائلهِ ولكي يقدر على احتمال الحر والبرد كان يتقلب في الصيف على الرمال المحرقة وفي الشتاء كان يضم بين ذراعيهِ تماثيل مغطاة بالثلوج ومع كل هذا كان شديد السخر من الناس وهازئًا قارصًا

وقد حكى عنهُ الرواة ملحًا كثيرةً نورد بعضها فكاهة للقراء قالوا انهُ نظر ذات يوم افلاطون في وليمة فاخرة لا ياكل الاَّ زيتونًا فقال لهُ انى لك هذا ايها الفيلسوف العظيم الست انت الذي قصد من قبل جزيرة سيسيليا لياكل فيها المآكل اللذيذة فلماذا تعف الان عما كنت تشتهيهِ اجابهُ افلاطون

المقال نصراء وخلان جهدوا في استمالة الجمهور اليهِ بخطبهم الفصيحة وبآرائهم البليغة فنهض ذمستينوس الفاضل من لا يثنيهِ مال او خوف عن حب الوطن وخيرهِ وتكلم قائلاً ايها الآثينيون انكم لاريب تشكرون همة وفضل الذين يظهرون لكم جليًا اعداء فيلبس واجتهادهُ بنزع السلام غير انهُ لما كنا لا نقرن القول بالفعل كان كلامنا بهذا الصدد عبثًا ومضرًّا ولو كانت الخطابة والبراهين كافية لقهر الابطال واذلال

شهدت الآلهة ان هناك وهنا لم اكن اقتات الاَّ زيتونًا واثمارًا اخرى نظيرهُ قال لهُ ديوجينس على الفور لماذا ذهبت الى هناك لعل الزيتون كان معدومًا في بلادك

وادب افلاطون ذات يوم بعض اصدقاء دنيس الظالم وكان وقتئذٍ ديوجنس عندهُ فنظر بسطًا مفروشة فاخذ يدوسها ويقول اني ادوس برجليَّ كبرياء افلاطون اجابهُ افلاطون لانت اعظم مني خيلاً وكبرا أتظن انك تفعل ما انت فاعلهُ بلا كبرياء

وطلب الى افلاطون ان يرسل اليهِ قليلاً من الخمر والتين فبعث اليهِ افلاطون دنًا مملوءا ولما لقيهُ بعد ذلك قال لهُ اظن انك لو سئلت كم اثنان واثنان لاجبت عشرون فلا جرم ان جوابك على ما نسأل يكون بنسبة نوالك الى ما يطلب اليك وقد اشار بذلك ايضًا الى خلقهِ لانهُ كان مهذارًا عظيماً

واحضرهُ رجل الى بيتهِ وسأَلهُ الاَّ يبصق لئلا يعطل شيئًا اذ البيت كان غاية في النظافة والجمال اما ديوجنس فلم يفهِ ببنت شفة بل صبر قليلاً

الطمعين لاستظهرنا على عدونا من زمان مديد فكما اننا لانجاري في ميدان البلاغة والانشآء نراه لا يغلب في مضمار الاقدام وساحات القتال انىّ اذًا تغفلون عن الحقيقة يابني الوطن وكيف تتعامون عن اطماع فيلبس الظاهرة ولطالما نبهتكم الى ذلك وحرضتكم على حث مطايا الجد والاهتمام فاعرضتم عني ازورارًا واغتررتم بوعوده الكاذبة ثم اندفق يذكرهم اعمالهِ الماضية

وتفل في وجههِ وقال لهُ اعذرني لاني لم اجد مكانًا اوسخ من هذا

ونظر ولدًا يشرب الماء بكفهِ فطرح طاسه وقال ان هذا الولد اعقل مني ورمى ملعقتهُ لانهُ نظر غلامًا ياكل مرق العدس بكسرة خبز مقعرة

واراد بعضهم في وليمة ان يسخر منهُ فطرح لهُ عظامًا كما يطرح للكلاب فنهض عن المائدة واخذ يبول عليهم ككلب

سئل مرة من اشقى الناس قال شيخ فقير ومن اردى الوحوش قال نمام بين المتوحشين وملق بين المتمدنين وكان يدعو التمليق شرك عسل والبطن هاوية الحيوة وبينما كان مسافرًا الى اثينا اسرهُ قرصان البحر وعرضوهُ للبيع في كريت فاشتراهُ رجل كورنثي وجاء بهِ الى كورنثوث فاقام بمنزلهِ الى ان مات سنة ٣٢٣ ق . م ولهُ من العمر تسعون سنة

قيل انهُ لما كان على فراش الموت سألهُ كزنيادس سيدهُ كيف يجب ان يدفن اجابهُ اجعلوا وجهي الى اسفل لان السافل لا بد ان يصبح عاليًا عن قريب وقد عنى بذلك عن نجاح المكدونيين الذين حازوا سلطانًا عظيماً وارتقوا الى ذرى المجد بعد ما كانوا ضعفاء محتقرين ولهُ نوادر اخرى كثيرة جدًا لا محل لاستيفائها هنا

وفعال الامير المكدوني مبينًا الاخطار والمضار التي نجمت وتنجم عنها ومستنتجًا وجوب مساعدة السبرطيين ومحالفتهم

وبينما كان فيلبس يشغل الآثينيين بالمخابرات وهم يشتغلون بالخطب والمذاكرات هجمت جنودهُ سنة ٣٤٤ ق٠م على سبرطة وافتتحت احدى مدائنها العظيمة واتفق في ذلك الحين ظهور نيازك في الجو فرعب السبرطيون واشفقوا على انفسهم من حدثان الدهر وكان الخوف لذلك عامًا حتى انهُ سئل شاب لم يجزع لتلك المصائب ألست تخاف من فيلبس اجاب ولماذا اخافهُ لعلهُ يستطيع منعي ان اموت فداء الوطن ٠ هذه هي آثار شهامة وبسالة سكان لكدمونية القدماء لا بل هي شرارة ظهرت من خلال الرماد لتبين قوة نار حمية اولئك الاقوام الذين راوا عدم استطاعتهم محاربة الامير المكدوني فارسلوا اليهِ اجيس ابن ملكهم ليسالهُ ابرام الصلح وكف العدوان فتخابرا في ذلك واتفقا على شروط منها اعلان ارغوس ومسينيا واركاديا مستقلة وتحت حمايتهِ ثم انكفى راجعًا الى بلاده ومرَّ بكرنثوس حيث اقام بضعة ايام ولما كان الكورنثيون يبغضونهُ لاسباب ذكرناها اهانوه علنًا فاحتمل فيلبس كل ذلك بصبر عظيم ولما طلب اليهِ اعوانه معاقبة هولاء السفهاء اجابهم اذا

كان الناس يقابلون الاحسان بالاهانة فماذا يكون جزآئي منهم اذا عاملتهم بصرامة

وجدد فيلبس اعتداءه على الآثينيين فهاجوا لكلام خطيبهم ذمستينوس وارسلوا اسطولاً قويًا هاجم السفن المكدونية وقبض عليها وتقدم الى تسالية ونهب ما نهبهُ ثم نزل منهُ جيش زحف الى اكارنانيا ليمنع غارات فيلبس ونسيبهِ اسكندر ملك ابيرس وتفرقت سفراء الاثينيين في سبرطه وغيرها لتهييج الاهلين وتحملهم على الاتحاد لمقاتلة امير بربري يريد استعباد اليونانيين

ولم يكن فيلبس غافلاً عن كل ذلك بل خال استطاعه افتتاح بزنطيوم ومدن البوسفور فزحف الى تلك الانحاء بجيشهِ وبلغ هذا الخبر أوخس ملك الفرس فقلق جدًّا وارسل رسلاً يثيرون اليونان ويستميلون روساءهم بالدرهم والدينار ولما كان ذمستينوس عدو المكدونيين الالد كان حينئذٍ اقرب الناس مودة لسفراء الفرس فواطأهم على ما يرومون واخذ يشجع قومهُ ويحرضهم على الجد والاهتمام فرنت صدور المحافل بكلماتهِ الدرية وخطبهِ البالغة في الفصاحة حد الإعجاز

وكان فيلبس قد استولى من مدةٍ على جزيرة أُبيبا

(الان نكروبون) وسام اهلها خسفًا لكثرة احزابهم وفتنهم فانفوا منهُ وضم بعضهم على العصيان وارسل رسلاً الى الولايات اليونانية يطلبون امددًا فلم يعنهم الاَّ الاثينيون الذين اقنعهم دمستينوس ان ينتصروا لهولاء التعساء فبعثوا اليهم بفرقة من الجنود وذهب هذا الخطيب الشهير الى الجزيرة المذكورة وكان يجول في المدائن ويخطب بالاجتماعات والمحافل فهاج لكلامهِ الاهلون ونهضوا يدًا واحدةً لمحاربة المكدونيين فطردوهم من الجزيرة ولما رجع دمستينوس الى اثينا استقبلهُ الجمهور بالترحاب والاكرام وكللهُ باكليل ذهبي وكان ذلك علنًا بحضرة الوطنيين والغرباء

ولم يستطع فيلبس افتتاح بيزنطيوم فارتدَّ الى مدينة برنثوس (الان اسكي اركلي بالقرب من بحر مرمرا) وحاصرها اما موقع هذه المدينة فحصين وجميل جدًّا لبنائها على منحدر رابية وكانت لذلك منازلها وشوارعها كدرجات سلَّم بعضها فوق بعض فبنى المكدونيون ابراجا عالية واخذوا في نقب السور بالكباش والآلات الحربية المعروفة وقتئذٍ وكانت الابراج ترمي المحصورين بالسهام والحراب ليرجعوا الى الوراء ولما نغر السور هجم المحاصرون ليدخلوا المدينة الا انهم عادوا خائبين لان البرنثيين بنوا من

داخل سورًا آخر واستعدوا للقتال . وارسل اليهم بعد ذلك البزنطيون قوتًا وسلاحًا وامدهم الفرس بعساكر مستاجرة فشجعوا وصمموا على الحرب والدفاع

كل هذا جارٍ واليونانيون كأنهم جاهلون الحوادث او عن الاخطار لاهون اما ذمستينوس فكان منتصبًا يرقب اعمال المكدوني ويرى جليًا خلال دجور المستقبل ما ستلده الليالي من العاديات فنبه قومهُ الى ضرورة الكر والكفاح انتصارًا لمدائن ثراكه مبرهنًا ان لهم في ذلك فائدة وخيرًا ومشبهًا حروب فيلبس واعتداءهُ بوبإٍ يطرأ على البلاد بكون الجميع لديهِ سواء وعرضة للاسقام الوبيلة فعلى الصحيح اذ ذاك ان يعين المريض ويسعى في تلافي الخطب ما امكن فرضي الاثينيون بمحالفة المدن التي كان المكدونيون يحاصرونها وذهب ذمستينوس الى بزنطيوم لينشط الاهلين

وكان فيلبس لايألو جهدًا في مداهنه الاثينيين واظهار الصداقة الصادقة لهم ليغرهم بوعوده الكاذبة ويحجب عن ابصارهم خبثهُ وفعالهُ وحدث ان امير المراكب المكدونية قبض على سفن اثينية كانت جالبة حنطه لمدينة سلمبريا التي كان فيلبس يحاصرها فانكر ذلك الاثينيون وادعوا انها مجلوبه لجزيرة لموس

وارسلوا سفراء الي الملك يطلبون ردها عليهم فاجابهم فيلبس الى ما طلبوهُ وخلى سبيل السفن وبعث اليهم بكتاب يقول فيـهِ

من فيلبس ملك مكدونية الى مجلس وشعب اثينا سلام قد وصل اليّ سفراؤكم الثلاثة وخابروني بشان السفن التي قبضت عليها واني لاعجب من خفتهم واملهم في اقناعي ان تلك السفن لم ترسل الى سلمبريا بل الى جزيرة لمنوس ذلك لا ريب من اعمال بعض روسائكم الذين يودون قتالي باية وسيلة كانت ويزعمون ان لهم في هذا الامر منفعة وخيرًا ولقد اجبتكم الى ما طلبتموهُ وآمل انكم تنتبهون الى خبث بعض القابضين على زمام الاحكام وتعزلونهم عن مناصبهم ليتنصر العدل ويخزى الطغام الفاجرون

واتخذ نصراء فيلبس ما جرى ذريعة لاطراء هذا الامير والاطناب في مدح فضائلهِ فنهض ذمستينوس واخرسهم بصيب حججهِ الدامغة وأثار بقومهِ الحمية فارسلوا مائة وعشرين سفينة حربية لاعانة مدن ثراكة غير ان امير تلك المراكب كان ضعيفًا وقليل التدبير فلم يستطع مقاتلة السفن المكدونية بل انكسر عند خلكدون (الان قاضي كوي احدى قرى القسطنطينية) وآب

بالذل والعار

وتقدم فيلبس لمحاصرة بزنطيوم وكانت هذه المدينة حصينة جداً لان البحر يكتنفها من ثلاث جهات وكان لها من جهة البر سور منيع وخندق عميق وابراج عالية عديدة فلم يبالِ البزنطيون بجيوش المكدونيين وظلّوا في منازلهم آمنين ولمَّا كانت ليلة شديدة العواصف وحالكة الاديم زحفت فرقة من جنود الملك لتتسور الاسوار تحت جناح ذلك الليل الدامس فانتبهت الكلاب التي في الحصون واخذت تنبح نباحاً قويّاً فاجتمعت الحراس وبعض العساكر ودحرت الاعداء بعد ان كادوا يفوزون بالمنى

ودخلت البوسفورس وقتئذٍ عمارة آثينية معقود لواؤها للقائد فوكيون الشجاع الحكيم فاستقبلهُ البزنطيون بالاكرام والترحاب واحلوه محلاً عاليًا وحارب فوكيون المكدونيين وكسرهم في وقعات كثيرة ولما خاب امل فيلبس من النجاح رفع الحصار وترك الاثينيين يستولون على سواحل بحر مرمرا الشمالية ثم غادر فوكيون بزنطيوم وتقدم الى خرزونس وقبض على عدة سفن كانت حاملة قوتًا وسلاحًا للاعداء ولما وصل اليها استرجع المدائن التي افتتحها فيلبس وعامل سكانها بالرفق

والاحسان ولم يرحل من تلك البلاد الا بعد ان عمل اعمالاً رفعت شان الاثينيين والقت الرعب في قلوب الجميع

الفضل يعرفهُ الكرام العاقلون الاولى يقابلون الاحسان اليهم بالثناء فلا يزالون للمحسن شاكرين ولاعمالهِ الحسنة ذاكرين ايذانًا بصداقتهم الصادقة وتنشيطًا لرافعي لواء الانسانية السائرين في سبل الفضيلة والكمال . ذلك ما فعلهُ روساء البيزنطيين والبرنثيين اظهارًا لما يخالج ضميرهم من حاسات الشكر للاثينيين الذين انتاشوهم من مخالب فيلبس

ولم يرحل الامير المكدوني عن هذه المدائن كعاجز عن مداومة الحرب او كانسان راى صعوبة النجاح فارتد بالخيبة والفشل ولكن حوادث عرضت لهُ فآثر تقديم الاهم على المهم لينجو من الرزايا التي اوشك الفرس والاثينيون وغيرهم ان يرموهُ بها حسدًا لهُ على فوزهِ او خوفًا من اطماعهِ وامتداد سلطتهِ في تلك الاقطار وذلك ان امير قبيلة سكيتية (سلافية) ساكنة في الاراضي الواقعة وراء ثراكة ومانريا (الان بلغاريا) بين بحر الاسود ونهر الدانوب استصرخه لاعانتهِ على كبح جماح قبيلة مجاورة لهُ معلنًا ان مملكتهُ تضاف الى مكدونية بعد موتهِ فارسل اليهِ فيلبس فرقًا من جنوده آملاً ان يستولي على بلادهِ غنيمة

باردة واتفق انهُ قبل وصول العساكر المكدونية استظهر ذلك الامير السكيني على اعدائهِ لموت قائدهم فطردهم من ديارهِ واستتبَّ لهُ الامر وامن كل غائلة ولما كان اولئك البرابرة لايعرفون الصدق ما هو وكان دابهم الخيانة والغدر لم يحفلوا بالمكدونيين بل احتقروهم وابوا ان يقدموهم الاجرة التي فرضوها قبلاً منكرين انهم بعثوا الى ملكهم سفراء يستنصرونهُ وقائلين انهم قادرون على حماية وطنهم في كل آن فما كلام فيلبس سوى مكر وهذيان وكيف يصح في الافهام ان يرث مملكتهم امير غريب ولملكهم وليّ عهد عاقل ونشيط قد توفرت فيهِ كل الصفات اللازمة لتولي هذا المنصب الخطير

وبلغ فيلبس ما جرى فرحل حالاً عن المدائن الثراكية كما ذكرنا واسرع الى بلاد سكينيا ليوقع بامير اراد غشهُ واسخرمنهُ على انهُ رام التظاهر بالسلم ليخدع عدوهُ وينال مناهُ بغير عناء فارسل يخبر السكيتيين انهُ اتى لينصب تمثالاً نحاسيًا لاركيلس على ضفة الدانوب وعلم الامير السكيتي ما وراء ذلك من الخبث والدهاء فارسل يقول لهُ ابعثْ اليَّ بتمثالك لانصبهُ في المكان الذي تريدهُ فغضب فيلبس واخذ يحرق الآجام ويخرب الحقول وينهب المواشي قاسماً جنودهُ الى فرق عديدة لتتفرق في جميع

الانحاء وتفتك بمن يعصي لها امرًا فحاربت اولئك الاقوام الرحّل وعادت بالاسلاب والغنائم ولم يرجع الملك المكدوني من تلك الارجاء الا بعد ان فرض على شعبها جزية يدفعها في كل عام

واعترضهُ في طريقهِ التريباليون وهم قوم اشداء يسكنون بالقرب من نهر الدانوب وكانوا كامنين لهُ في الشعاب وشقوق الصخور فانقضوا على جنودهِ انقضاض الصواعق وفتكوا بهم فتكًا ذريعًا اما فيلبس فكان يجول بين الصفوف كالاسد الرئبال ينشط هذا بكلامهِ ويشجع ذاك بفعالهِ حتى اصابتهُ ضربة اوقعت الفرس والفارس على الارض فابتدر ابنهُ اسكندر الى حمايتهِ فدفع الاعداء ومكن اعوانهُ من نقلهِ الى السرادق وما زال هذا الفتى الشجاع قائمًا في ساحة القتال حتى انكسر التريباليون وولوا هاربين وكانت الجراح التي اصابت فيلبس في ساقهِ بليغة جدًا فاصبح اعرج بجمع باقي ايام حياتهِ ولما عاد الى ثراكة لقي الرسل الذين ارسلهم اليهِ مجلس الامفقطيون ليعلموه باقامتهِ قائدًا عامًا لجيوش المجلس المذكور ويلحوا عليهِ بالمبادرة حالاً الى اعانتهم . وقبل بسط الكلام على هذه الحرب الجديدة نذكر للقارئ الاسباب الداعية اليها ليكون على بصيرة ويدرك

سياسة المكدوني وحكمتهُ الفائقة

طالما جهد فيلبس منذ تبوأ عرش مكدونية ان يحالف الآثينيين ويغرهم بوعودهِ وعهودهِ الكاذبة راشيًا روساءهم الاولى جعلتهم الاطماع عبيد النضار فانقادوا لهُ طائعين يتبارون في انفاذ اوامرهِ و يتفاخرون في اعلاء منار سلطتهِ غير جاهلين ما دون ذالك من الاخطار لوطنهم ومصالحهِ وحرية اليونانيين كافة ولكن الطمع سلطان عظيم يعمي بصائر وابصار الادنياء الطغام فيخضعون لهُ صاغرين ناسين واجباتهم المقدسة لاخوانهم بني الاوطان اذ هيهات ان يدركوا انهم اذا خانوا الوطن خانوا انفسهم واذا مهدوا سبل استعباد مواطنيهم كانوا هم اول المستعبدين وانىّ ياملون فوزًا واعتبارًا حقيقيًا من امير غريب يصبح بعد نيل بغيتهِ اعظم الناس احتقارًا لهم لانهُ اعلمهم بسجاياهم وافعالهم القبيحة وقد اتينا فيما مضى كيف ان ذمستينوس الوطنيّ الغيور كان ينهض ليضرم بكلامهِ البليغ نار الحمية ومحبة الحرية في صدور الحضور و يظهر لهم بفكرهِ الثاقب ما ستلدهُ الليالي من البلايا والشرور كأن المستقبلَ حاضر لديهِ او كانهُ استطاع ان يمزق باسياف فطنتهِ وذكاهُ حجب خداع فيلبس الساتر مقاصدهُ عن اعين الباقين فندر ان يسعر جذوة الشجاعة التي

كادت تنطفئ ويحمل مواطنيهِ على رغم الخطباء والروساء الغادرين ان يجهزوا الجنود و ينوا السفن لمحاربة المكدونيين ولما نال ما يبتغيهِ مضى الى الولايات اليونانية الاخرى ليخطب و يغري سكانها بقتال فيلبس ومساعدة الآثينيين

ولم يكن فيلبس غافلاً عما جرى ولكنما للضرورة احكام اذ الحكيم من اقام يتربص نهزة الفلاح باحثًا بجدٍ واهتمام عن الصعوبات والعقبات التي تقف في طريق النجاح فادرك ذلك الامير الفطين ما دون قتال الآثينيين من الاهوال لانهُ ان حاربهم بحرًا لقي سفنهم العظيمة التي تفوق مراكبهُ عددًا وعُددًا وان اتاهم برًّا وجب عليهِ ان يمر في اراضي الثيبيين والتساليين الذين من الممكن ان ينتبهوا الى اطماعهِ فيعادونهُ و يسعون في احباط اعمالهِ

وكان في آثينا خطيب اسمهُ أنتيفون جسورٌ فصيح ولكنهُ مهذار فطردهُ الآثينيون من المدينة لاسباب سياسية فذهب الى فيلبس وطلب اليهِ قبولهُ خادمًا لهُ يسعى في انفاذ اوامرهِ ولا ينثني عن مقاصدهِ ولو تجرع كاسَ الحمام فقبلهُ فيلبس بالبشاشة والترحاب واحلهُ محلاً عاليا

ولما كان الآثينيون آخذين وقتئذٍ في بناء مراكب عديدة

اتفق فيلبس وانتفون على حرق معمل السفن في بيرياس مرفإ آثينا فولج انتيفون المدينة متنكرًا وشرع في انفاذ ما نواهُ ولقد كاد يظفر بالوطر لولا ذمستينوس الخطيب النشيط الذي علم بهِ فاسرع الى بيرياس والقى القبض عليهِ وبعد مذاكرات ولجاج حكم عليهِ المجلس بالموت جزاء لهُ على خيانتهِ وفعلهِ القبيح

وحدث بعد ذلك ان الآثينيين ارادوا ارسال نواب الى الامفقطيون فبعثوا اسخينس الخطيب وثلثة آخرين كلهم نصراء فيلبس ومحازبوهُ وكان المجلس مشتغلاً وقتئذٍ في اصلاح هيكل ذلفي وجمع هدايا وتماثيل من بلاد اليونان لارجاع ما سلبهُ الفوكيون في الحرب المقدسة وارسل الآثينيون هدايا فاخرة جدًّا من جملتها مجان كُتب عليها ما ياتي: أُخذت من الماديين والثيبيين حينما نهضوا لقتال اليونان ووضعت تلك الهدايا في الهيكل قبل الاوان المعين فاغضب هذا الامر اعضاء المجلس لاسيما الثيبيين لانهم راوا فيهِ اهانة لهم وعارًا فقام اسخينوس في ذلك النادي وتظاهر بالغضب والقى خطابًا انيقًا دحض فيهِ حجج الاعداء وبرّأ قومهُ فاعترضهُ رجل لوكريٌّ من امفيسا وهي مدينة على بعد ثمانية اميالٍ من ذلفي قد اعتدى اهلها على الاله ابولون وزرعوا سهل سيرا الذي حُرم حرثهُ على البشر وكان

ذلك اللوكري يتكلم بجدة ويطعن على الآثينيين قائلاً انهم قوم طغام لا يعبأ ون بالدين ولا يبالون بفرائضهِ والدليل انهم انتصروا للفوكيين الاشرار وسعوا في اضرار خدام الاله ابولون واتلاف اراضي هيكلهِ والاموال الموضوعة فيهِ الى ان قال من الواجب عليكم ايها الاعضاء الا تسمحوا بذكر اسم الآثينيين اللئام في هذا المحفل الحافل

اما ما كان من اسخينوس فانهُ نهض على الاقدام واخذ يثني على الآثينيين ويبرئهم من التهم ويطعن في الامفيسيين ويظهر اعمالهم الكفرية للحضور لاسيما زرعهم سهل سيرًّا خلافًا لما حكم بهِ الامفقطيون فهاج الاعضاء جدًّا وامروا بتخريب ذلك السهل وحرق زرعهِ فأثار هذا الامر فتنة كبرى ونشبت من جرائهِ الحرب المقدسة الثالثة ومعلوم ان النائب الآثينيّ واللوكريّ لم يتكلما ما تكلماهُ الا لهذه الغاية فكانا متفقين باطنًا متعاديين ظاهرًا ارضاء لفيلبس مولاهما الذي كان يود صرف انظار اليونانيين عن اطماعهِ واشغالهم بفتن اهلية او فتح باب جديد يتذرع بهِ لنيل ما هو ساعٍ لنيلهِ ولما كان قائد جيوش الامفقطيون من نصراء الملك المكدوني لم يباشر الحرب بهمة ونشاط بل تقهقر عمدًا ليعظم الخطر ويمهد سبل تداخل سيدهِ

في اعمال اليونان فتم لهُ ما رجاهُ ودعي فيلبس الى اعانة المجلس كما تقدم المقال

وكان الاثينيون على رغم اسخينوس واصحابهِ جاهدين في اذلال فيلبس واحباط اعمالهِ بكل مكان وكانت اساطيلهم واقفة لهُ بالمرصاد لتمنعهُ من الاجتياز الى ارض امفيسا ساحة القتال فادّعى انهُ راجع الى تراكة وارسل رسائل الى مكدونية يخبر بلاطهُ بما نوى وحدث ان الاثينيين قبضوا على السفينة الحاملة تلك الكتابات فقرأوها وانكفوا راجعين لظنهم انها صادقة تعرب عن مقاصد المكدوني الحقيقية

وحينما انصرفت سفن الاثينيين ركب فيلبس البحر حالاً ودخل ارض ذلفي آمنًا سالمًا وارسل مناشير الى الولايات اليونانية يدعو اهلها لنصرة الامفقطيون فلم يجبهُ الى ما طلب سوى الثيبيين الذين بعثوا اليهِ بكتيبة من جنودهم لا رغبة في اعانتهِ ولكن خوفًا منهُ اما الاثينيون فحرك ذمستينوس في صدورهم حاسات الشجاعة والحمية فاستأجروا عشره الاف جندي وارسلوهم لمحاربة المكدونيين انتصارًا للامفسيين الكافرين واتشبت الحرب بين الفريقين وكانت عاقبتها وبالاً على هولاء وحلفائهم فدخل فيلبس مدينتهم ظافرًا

وانتشر خبر انتصار المكدونيين في البلاد وعلم ذلك الآثينيون فرعبوا وبعثوا الى فيلبس رسلاً تخابرهُ في كف العدوان غير انهم لم يالوا جهدًا في محالفة اليونانيين واستلفات انظارهم الى اعمال عدوهم الالد لينهضوا يدًا واحدة لمحاربته واذلالهِ قبل ان يفقدوا حريتهم ويندموا على توانيهم ولات ساعة مندم وكانت خطباؤهم تجول في المدائن والاقاليم وتبث روح الشجاعة والانتقـــام في صدور الجميع فحالفهم المغاريون والكورنسيون واناس آخرون كثيرون وكان الثيبيون حائرين في امرهم لايستقرون على رأي من القلق لانهم انفوا من محاربة الاثينيين كاعداء لهم من زمان قديم واوجسوا خوفًا من فيلبس كملك جبارٍ ظالمٍ عنيد على ان الامير المكدوني لم يقف عند هذا الحد من الانتصار بل اسرع وافتتح ألاتيا وهي مدينة عظيمة واقعة بين سلسلتي جبالٍ تمتد من بلاد فوكس الى بيوتيا ولها قلعة منيعة مبنية على رابية يعسر الاستيلاء عليها ومركز هذه المدينة مهمٌ جدًّا لان من ملكها قدر على الدخول الى ارضي ثيبة وآثينا متى اراد

وبلغ الآثينيين خبر استيلاء فيلبس على ألاتيا بعد المساء وكان كلٌ قد اوى منزلهُ ليستريح من اتعاب النهار واثقال

الاعمال فلم تكن الا برهة من الزمان حتى غصت الساحات العمومية باقدام الجمهور وانتصب المنادي ياذن للوطنيين ان يرتقي المنبر من رام منهم ابداء رأي مفيدٍ والقاء خطاب فيهِ نفع للعموم فلم يلبِّ دعوة الداعي احد من القواد والحكام والروساء المجتمعين ولقد دعا ذمستينوس ذلك النداء صوت الوطن العزيز يستصرخ ابنــاءه ويحثهم على الاتحاد . ثم نهض هذا الخطيب المفضال وفاه بكلام يحرك الجلمود مستنهضاً هممهم الوانية ومظهراً لهم بروقاً من الاماني الى ان قال فلتزحف جنودكم حالاً الى مدينة أليزس ليعلم الثيبيون واليونانيون كافة انكم نصراء الحرية كما ان المكدونيين ظهراء الاولى قد باعوا اوطانهم بابخس الاثمان وارسلوا رسلاً الى الثيبيين يذكرونهم باحسان اجدادكم اليهم ويخبرونهم ان الآثينيين قد نسوا ما مضى والى لوا الا يبرحوا مجاهدين في سبيل الدفاع عن البلاد غير طالبين لافعالهم الحسنة اجراً

وانتصح الآثينيون بكلام خطيبهم المفلق وارسلوا الى أليزس كل جنودهم البرية بمائتي سفينة حربية وبعثوا سفراء الى جميع المدائن اليونانية يدعون اهلها الى الاتحاد وذهب ذمستينوس الى مدينة ثيبة . ويظهر انــهُ خلب العقول بفصاحتهِ واجتذب

القلوب بعباراتهِ الدرية فرضي الثيبيون على رغم محازبي فيلبس بمحالفة الآثينيين وتجهيز العساكر اللازمة لخوض عجاج الحرب دفاعًا عن الوطن

والتقى الفريقان في سهل خرونيا وانتشب القتال وكان فيلبس متوليًا قيادة ميمنة الجيش ليصدم الآثينيين ويرد هجمات ابطالهم المخيفة وكان ابنهُ اسكندر محاطًا بالقواد المحنكين الشهيرين يتولى قيادة الميسرة ليقاتل الفرقة الثيبية المقدسة ولما اشرقت الشمس على تلك الجنود المنتشرة في ذلك المكان انتشار الجراد حملت الرجال على الرجال وطافت سقاة المنون تجرع الابطال كاسًا دهاقا وما زالت رحى الحرب دائرة حتى ولى الثيبيون الادبار بعد ان قتل جميع انفار الفرقة المقدسة فلحق بهم اسكندر وشتتهم في تلك البطاح وصدم فيلبس الآثينيين صدمة اورثتهم الخبال فقتل منهم الفًا واسر الفين وبدد شمل الباقين

وعامل فيلبس الآثينيين بعد هذه الوقعة بالرفق والاحسان وسمح لهم ان يحرقوا موتاهم بكل اكرام وارسل اسراءهم الى بلادهم بلا فداء وترك لهم املاكهم الخارجية فرضوا بابرام الصلح وسروا بمحالفتهِ اما الثيبيون فعوملوا بقساوة عظيمة

واكرهوا على الخضوع التام للدواة المكدونية وما سبب ذلك
الا ان الاولين قد حازوا قصب السبق في المعارف والفنون
فاستحقوا اكرامًا لائقًا بمقامهم العالي يشهد بعظمة فيلبس وكرم
اخلاقهِ والآخرون قد نكروا الجميل وقابلوا الاحسان بالاساءة
ولم يكن لهم في التاريخ ماثرة تشفع بهم فحل عليهم غضب الامير
المكدوني وانقادوا لهُ صاغرين

قال المؤرخون ان الجمهوريات اليونانية العديدة قد
خضعت لفيلبس بعد وقعة خرونيا غير ان ذلك الخضوع
يحكيهِ حقوق الحماية التي تدعيها الدول العظيمة على بعض
الممالك والولايات الصغيرة في ايامنا هذه او بالاحرى كانقياد
مملكة بافاريا لسلطان المانيا لان تلك الجمهوريات كانت متمتعة
بحريتها وشرائعها المدنية مقرة فقط بسيادة الامير المكدوني الذي
أُعلن ناظر الالعاب المقدسة وهيكل ذلفي ورئيس مجلس
الامفقطيون وقائدًا عامًا لجيوش اليونانيين

وفي سنة ٣٣٧ ق.م اي بعد حرب خرونا بعام واحد
عقد فيلبس مؤتمرًا في كورنثوس واخبر معتمدي اليونان بظلم
وقساوة الولاة الفارسيين وجورهم على رعاياهم الغرباء واعلن لهم
رغبتهُ في محاربة هذه الدولة القادرة انتصارًا اللآسيين الضعفاء

والصحيح لتوسيع نطاق مملكتهِ وشفاء غليلهِ بالانتقام من امة سعت مرارًا في احباط اعمالهِ ونكايتهِ ولما كان اليونانيون كافة يكرهون الفرس لانهم قد اعتدوا عليهم قديمًا وافتتحوا بلادهم واحتقروا دينهم ونجسوا هياكلهم وحرقوها رضوا بالانضمام الى المكدونيين لقتال اولئك الاقوام الاولى طالما جهدوا في نزع حريتهم ومنازعتهم السلطة على مستعمراتهم والاراضي القريبة منهم وجهزوا لذلك جنودًا جرارة بلغ عددها مائتين وعشرين الف راجل وخمسة عشر الف فارس ولم يجهز اليونانيون قط جيشًا كبيرًا كهذا ولكن الاتحاد هو آية الفلاح وسر النجاح بهِ ترتقي الامم الى ذرى المجد والفخار ولا تسقط الا بالانقسام

واحتفل فيلبس قبل رحيلهِ لقتال الفرس بزفاف ابنتهِ كليوبترة الى ملك ايبرس خال اسكندر فعمل الولائم واقام الافراح اياماً عديدة وبينما كان ذاهبًا مرة الى الملعب لقيهُ رجل مكدوني اسمهُ بوزونياس ضربهُ بمدية القاهُ على الارض قتيلاً يخبط بدماه قيل ان زوجتهُ اولمبياس قد ارسلت ذلك الشقيّ ليقتلهُ لانهُ قد هجرها ومال قلبهُ الى حب الغواني واتخذ لها ضرائر اما اسكندر فتهم الفرس بقتل ابيهِ وجعل هذا الامر احد الاسباب التي دعتهُ الى محاربتهم وفتح بلادهم

وهكذا مات فيلبس عام ٣٣٦ ق.م في السنة السابعة والاربعين من عمرهِ والرابعة والعشرين من ملكهِ وهو اول ملك تحرى المؤرخون الحقائق في كتابة قصتهِ واشهار اعمالهِ العظيمة التي تبقى على مرّ الزمان مثالاً للشجاعة والحكمة والتدبير ولقد خطفتهُ ايدي المنون قبل ان يحقق كل امانيهِ ويبلغ ما نواهُ ولو افسح في اجلهِ لكان بلا ريب اعظم ملك ظهر قبل عصرنا الحديث لانهُ مهما عمل او عزم ان يعمل لا يبلغ درجة نابوليون بونابرتي بطل القرن التاسع عشر

الفصل الثاني

في ملك اسكندر الكبير المعروف بذي القرنين

كان اسكندر جميل الخَلق والخُلق كريمًا شجاعًا ربي في حجر التمدن والتهذيب فنشأ اديبًا فطينًا وقرأ الفلسفة والعلوم

على ارسطوطالس اعظم فلاسفة القدماء واخذ عنهُ السياسة والآداب وحكاهُ بالبلاغة وفصل الخطاب ولا ريب ان هذا العالم العلامة الذي كان دأبهُ معرفة وترتيب كل شيء لاهل ان يكون استاذ ملك يروم التسلط على العالم ليغير نظامهُ القديم بنظام جديد

واصبح اسكندر بعد موت ابيهِ محفوفًا بالاخطار لانهُ كان فتىً مناهزًا العشرين من عمرهِ وكان لهُ خصوم ينازعونهُ الملك ويسعون في اهلاكهِ لاسيما امينتاس ابن عمهِ الذي خلعهُ وخلفهُ فيلبس غير انهُ لما كانت الجنود تحبهُ لبسالتهِ وعلو مداركه استطاع مع اصدقائهِ ونصرائهِ ان يحبط اعمال اعدائهِ ويردي من رآهُ منهم عنيفًا قويًا فاستتب لهُ الامر وفاز بالوطر على رغم الحاسدين

ثم اسرع الى بلاد اليونان ليثبت اركان سلطتهِ هناك ويخمد نار الفتنة التي كادت تشعل عند موت ابيهِ فاتى كورنثوس وجمع نواب الجمهوريات والولايات اليونانية الذين منحوهُ الالقاب والامتيازات التي نالها فيلبس . ونظر في هذه المدينة ديوجينيس الفيلسوف الكلبي الشهير الذي مرّ ذكرهُ في الفصل السابق فقال لهُ ياديوجينيس انا اسكندر المكدونيّ

تمنَّ مـا تريد فانك تعطاهُ اجابهُ تنحَّ قليلاً لانك تحجبت عني نور الشمس حينئذٍ قال الملك لاعوانهِ لولم اكن اسكندر لاردت ان اكون ديوجينيس . وبالحقيقة ان كليهما كانا يبغيان غاية واحدة وان اختلفا في الوسائل المؤدية اليها الا وهي تذليل المصاعب والاشتهار فنال ديوجينيس بفقرهِ ما نالهُ اسكندر بالانتصار على اقوى امم العالم

ونظر الايليريون والترباليون سنة ٣٣٥ ق.م حداثة الملك فظنوا الاوان قد آن لقتال المكدونيين ونيل الاستقلال فجاهروا بالعدوان وعلم بذلك اسكندر فبادر اليهم بالخيل والرجل ووصل بعد مسير عشرة ايام من امفيبوليس الى مضيق جبل هموس (الان جبل البلكان) فوجد هناك فرقة من التراكيين متحصنين ومستعدين للكفاح فهجم عليهم بجنودهِ وقتل منهم الفًا وخمسمائة رجل واسر عددًا عديدًا وفرَّ الباقون هاربين ثم اسرع الى اراضي الترباليين ولقي جنودهم معسكرين عند نهر صغير على بعد ثلثة ايام من الدانوب فقاتلهم وكسرهم واخضع قبائل كثيرة ساكنة في تلك البلاد وعند رجوعه اخمد ثورة الايليريين فدان لهُ جميع اولئك البرابرة صاغرين

وشاع خبر قبل عودتهِ انهُ مات في بلاد الترباليين ففرح

اليونانيون واستبشروا وجاهر الثيبيون بالعصيان وقتلوا قائدي الجنود المكدونية المحتلة اراضيهم وبلغ ذلك اسكندر فزحف بعساكره وحاصر مدينتهم واستولى عليها عنوة وهدمها بعد ان قتل عدداً عديداً من الاهلين وباع الباقين عبيداً

وحدث انهُ بينما كانت العساكر متفرقة في جميع انحاء المدينة تنهب وتخرب دخل قائد منزل امراة جميلة جداً اسمها تيموكليا فاغتصبها وسلبها ما وجدهُ من السلع والمال وكأنهُ لم يرتض بما فعل ونهب فامرها ان تسلم اليهِ كل ما تملكهُ من نضار ولجين فجاءت بهِ الى بستانٍ واشارت الى بئرٍ وقالت لهُ في هذه البئر قد طرحت ذهبًا واشياء ثمينة فهمّ ذلك القائد الطمع البخيل ان ينزل الى البئر ويخرج منها الكنوز فدفعتهُ المرأة بيديها فسقط في الجب ومات ولما رات العساكر ما حلّ بالقائد قبضت على المراة واحضرتها الى اسكندر الذي اعجبهُ حسنها وعلم ما فعلت فسالها من انتِ ايتها المرأة حتى تجسرين ان ترتكبي ذنبًا قبيحًا كهذا ولا تبالين اجابتهُ انا اخت احد الابطال الذين ماتوا في ساحة خرونيا وهم يحاربون فيلبس ويدافعون عن حرية اليونانيين فذهل الملك من جسارتها وخلّى سبيلها مع بنيها فانصرفوا جميعهم شاكرين فرحين

ان خراب مدينة ثيبة لعملٌ بربريٌّ فظيع لان نهوض امة لطلب حريتها واستقلالها ليس ذنبًا عظيماً يستلزم قصاصًا صارمًا كهذا بمحو اسم تلك الامة من عداد الشعوب ومن يا ترى ينكر ان مسببي الثورات هم الرؤساء الاولى ينتفعون بالانقلابات السياسية وتغيير الاحكام فهم سبب البلاء وما العوام سوى اغنام تنقاد طوعًا او كرهًا لاهواء الكبراء ولا اظن احدًا من السوقة يروم غير السلام ليتمتع بالراحة والهناء فكان الاجدر باسكندر الا ياخذ جميع الثيبيين بذنب بعضهم ولكنهُ فعل ما فعلهُ ليخيف اليونانيين ويؤدبهم والحق يقال انهُ لما بلغتهم الحوادث التي جرت في ثيبة رعبوا جدًّا وبعثوا سفراء يهنئونهُ بعودتهِ سالمًا فطلب الى رسل الآثينيين ان يسلموا اليهِ عشرة رجال من عظمائهم وفي مقدمتهم ذمستينوس عدو مكدونية الالد. فبادر الآثينيون الى محاكمة هؤلاء الافاضل واصدروا امرًا بقصاص كل واحد منهم حسب ذنبهِ وعرضوا الامر لاسكندر فسرَّ جدًّا بما فعلوهُ وسمح لذمستينوس واصحابهِ بالبقاء في آثينا وكان هذا الخطيب الشهير غير مبالٍ بما حدث بل كان يقول لقومهِ ملك مكدونية يريد ان يقتل الراعي ليبدد الخراف

واحال اسكندر سنة ٣٣٤ ق.م ادارة مملكتهِ والبلاد اليونانية الى أنتيباتر احد قوادهِ ورحل في الربيع بخمسة الاف فارسٍ وثلثين الف راجل وبعد مسير عشرين يومًا وصل الى بوغاز الالسبونتس (الدردنيل) واجتاز من هناك الى آسيا بمائة وستين سفينة فاحتل تلك السواحل بلا مانع لان الفرس وان كانوا عالمين بحملة المكدوني اهملوا حماية وصيانة حدودهم الغربية

ان هذا الاهمال كان ناتجًا عن خمول وتواني الفرس وملكهم كودومانس المقلب بداريوس الذي تبوأ عرش المملكة بالخبث وسفك الدماء وهذه الدولة العظيمة كانت تتسلط وقتئذٍ على احسن اقاليم اسيا وافريقيا وقد عُدّل دخلها في كل سنة فعدل اربعة عشر الفًا وخمسمائة وستين زنة وشيئًا كثيرًا لا يحصى من الانعام والامتعة وكان لها اموال وافرة مدخورة في دمشق واكبتان (الان حمدان) وغيرها من المدائن الكبيرة فاذا عرفنا ذلك لا نعجب من قول بعضهم ان دخل اسكندر من البلاد التي فتحها كان نحو ستين مليون ليرة انكليزية

وكانت بذار الخراب قد تاصلت في ارض هذه المملكة الواسعة الغنيه واصبحت لا تحتاج الا ليد قادرة تحصد زرعها .

ولذلك كما لا يخفى اسباب جديرة بالاعتبار منها جهل الفرس العظيم لفني السياسة والحرب وتنعمهم الزائد المقدار وكانت الولايات العديدة كمالك صغيرة متحدة ظاهراً وهي تكاد لا تعرف ولا تعمل من مقتضيات الاتحاد شيئاً لانها كانت مجموع شعوب مختلفة الاديان والاجناس لا رابط لها سوى القوة وتلك القوة كانت ضعيفة · ولربما يقول قائل هل يستحق اسكندر الشهرة التي حازها بافتتاحه بلاداً واهية القوى واقفة على شفا السقوط فنجيبهُ ان داريوس ملكها الحالي كان شجاعاً ومحبوباً من رعاياهُ وكان في خدمتهِ خمسون الف جنديّ يونانيّ

وبينما كان اسكندر سائراً بالقرب من السواحل كان ولاة الاقاليم البحرية الفارسيونّ مجتمعين في زوادة للائتمار في ما يجب فعلهُ لمحاربة وطرد اعدائهم الغرباء فالاخطار المحيطة بهم ارتهم جلياً ضرورة الاتحاد غير ان الحسد وحب الرئاسة جعلا ذلك الاتحاد بلا فائدة لان احدهم مامنون الرودسيّ وهو قائد محنك شهير قال لهم من الواجب ان تخنبوا المعامع العظيمة وان تتلفوا الغلال وتخربوا المدائن والقرى فيضجر المكدونيون ويرحلوا او يموتون جوعاً لانهم لا يجدون اذ ذاك في هذه الديار طعاماً ولا مكاناً يتفيأ ون ظلالهُ فلم يحل رأيهُ محل القبول وابى

جميع هولاء الرؤساء الانقياد له استكبارًا وعزموا على حشد الجنود على ضفة نهر غرانيكوس (الان كوجه شاي بين مدينة زلّه وبوغاز الدردنيل)

وعلم اسكندر بتجمع الاعداء بالقرب من ذلك النهر فنهض حالاً بجنودهِ وعبرهُ على مراى من الفرس الذين بادروا اليهِ مسرعين وصدموا الفرقة الاولى من عساكرهِ فهجم عليهم هجمة الاسد الرئبال ودحرهم وسهل لرجالهِ الوصول اليهِ ثم حملت الابطال على الابطال وكان القتال مهولاً وما زال اسكندر جائلاً بين الصفوف يشجع قومهُ بصوتهِ وفعالهِ حتى لقي فرقة من شرفاء الفرس فابتدر اليهم بشجاعة ونشاط واخذ يطعنهم طعنًا لا يبقي ولا يذر الى ان تقصف الرمح في يدهِ فاستل حسامًا وهجم على متريدات صهر داريوس وضربهُ ضربة مضى بها لسبيلهِ ثم التفت وقتل رجلاً فارسيًا كاد يرديهِ لولا متانة خوذتهِ ودامت رحى الحرب دائرة حتى خارت قوى الفرس فولوا هاربين يطلبون النجاة ومات في هذه الوقعة كثيرين من روساء الاعداء وقوادهم العظام فكان هذا الامر مصداقًا لما رواهُ المؤرخون ان عدد جنودهم كان مائه وعشرة الاف رجل وذهب بعضهم انهُ كان ستمائة الف جندي ولا يخفى ما في هذا القول من المبالغة.

ولما كانت العساكر المكدونية قد تعودت القتال من زمان قديم وكان ترتيبها متقنًا وسلاحها فاخرًا لم يمت منها سوى خمسة وثمانين فارسًا وثلثين راجلاً فامر اسكندر بعمل تماثيل نحاسية لهم ووضعها في مدينة ديوم تذكارًا لبسالتهم وتنشيطًا لجنوده ليريهم انهم اذا حيوا فازوا بالاسلاب والغنائم واذا قضوا نحبهم في ساحة الوغى حسبوا في عداد الابطال المشهورين

وامر اسكندر ان آباء واولاد عساكره المتوفين يعافون من الخراج ثم زار المجاريح ولاطف كلاً منهم وحرضهم على الصبر واحتمال الاوجاع. وارسل الى آثينا ثلثمائه درع فارسي كهدية للإلهة منيرفة وكتب عليها ما ياتي : اسلاب اغتنمها اسكندر بن فيلبس واليونانيون من برابرة آسيا

واستسلم لهُ بعد هذا الانتصار ايونيا وفرجيا وكل الولايات الواقعة الى الجهة الغربية من نهر الس (الان قزل ارمق او نهر الاحمر) وكان الافسسيون يبنون في ذلك الاوان هيكل ديانا الذي حرقهُ رجل احمق يدعى أروستراتس في الليلة التي ولد بها اسكندر فسر هذا البطل من سروره وسمح لهم بانفاق الدراهم التي كانوا يقدمونها الفرس جزية لاتمام بناء الهيكل واتقانهِ

ولم يأب الخضوع لهُ الامدينه اليكارناسوس التي تحصن فيها ممنون الرودسي فزحف اليها واخذ في قتال حاميتها وحصارها وبنى لذلك ابراجًا خشبية واقام آلات حربية لهدم اسوارها وبعد معامع كثيرة استولى عليها عنوة وخربها خلافًا لما نوى قبلاً لانهُ اراد معاملة الاهلين بالرفق والاحسان ان انقادوا لهُ طائعين فاعاروهُ اذنًا صماء ولجئوا الى قلاعهم آمنين فذاقوا بخراب مدينتهم ثمر العناد القبيح

وكانت عمارة الفرس كبيرة ومنيعة جدًا لانها كانت مؤلفة من اساطيل المصريين والفنيقيين وولايات آسيا الصغرى البحرية وعلم اسكندر ذلك وعرف ان سفنهُ قليلة بالنسبة اليها ولا يمكنها الثبات لديها في ميادين البحار فتركها وقال لاعوانهِ انني املك البحر باستيلائي على المدائن والاقاليم وبناء عليهِ زحف الى الجهة الجنوبية وارسل قائده بارمنيو الى لدية وفرجية وبعث كليانذر الى البلاد اليونانيه لياتيهِ بجنود جديدة واذن لعساكره الذين تزوجوا قبل رحيلهم بالرجوع الى الاوطان ليصرفوا فصل الشتاء مع نسائهم ويعودوا في الربيع

ومعلوم ان الابطال الذين سودت اعمالهم البيضاء صحف التاريخ والذين سادوا وشادوا واشتهروا بالغزوات والفتوح

قد افلحوا بالحكمة والتدبير لا بكثرة الجنود وعليهِ فاسكندر قد استمال سكان آسيا الصغرى بحلمهِ وفطنتهِ لانهُ كان يمنح اهالي المدائن التي يفتحها حق التمتع بحرية بعوائدها وشرائعها الخصوصية فتبارى الولاة الفارسيون في الخضوع لهُ حبًّا بهِ وفرارًا من سيف انتقامهِ اذا عصوا لهُ امرًا وبادر اليونانيون المستعمرون تلك الاصقاع الى الاستسلام لهُ والتجند تحت رايتهِ افتخارًا باميرٍ قادر يبذل جهدهُ في رفع شان ابناء جنسهم ويخولهم حرية لاقامة حكومات جمهورية ومما يشهد لهذا البطل الشهير بالفضيلة والفضل هو انهُ في كل مكان يمر بهِ او يحتلهُ كان ينشط الصناعة والزراعه وكل شيء يعود على المجتمع البشري بالخير والنجاح وخالف عوائد الاقدمين واصلحها باعتبارهِ البرابرة رعية لا عبيدًا واليونانيين حلفاء لا رعية ونشر لواء الانصاف والاصلاح فرأى الجميع فرقًا عظيماً بين احكامهِ العادلة واستبداد الفرس او اطماع حكومتي آثينا وسبرطا

اذا كان الكذب والمبالغة في الحديث شان الجهلة الغافلين فماذا يكون شان المؤرخين العلماء الاولى يروون اساطير لا يصدقها العقل او كيف يصدقها وهي تخالف النواميس

الطبيعية تمامًا فاساس فلسفة التاريخ هو القياس المنطقي الذي مقدمته الكبرى الممكن او المستحيل ونتيجتهُ تصديق او تكذيب الحادث المحكيّ. نقول ذلك نوطئة لما سنورده كي يكون القارئ اللبيب على بصيرة ويعلم اننا لم ندخر وسعًا في التنقير عن الحقايق ما امكن غير ان الضرورة تدعونا احيانًا الى ذكر طرف من خرافات القوم كما نبهنا في صدر الكتاب لنظهر تاخر علماء المتقدمين عن بلوغ مكانة علمائنا الحديثين من حيث صدق الرواية والتدقيق وان كانوا قد فاتوهم في البلاغة والاحسان قالوا ان اسكندر بينما كان مترددًا في هل يذهب توًّا لمقاتلة داريوس واحراز الفخار والغنائم او يسرع للاستيلاء على المدائن البحرية ليمنع اعداءهُ من ارسال مراكبهم تحارب بلاد اليونان ومكدونية وتخضعها انفجرت بغتةً عين ماء بالقرب من مدينة كرانتس (الان غونيك) وقذفت قصعة نحاسية مكتوب عليها باحرف قديمة ما معناهُ ان الاوان قد آن لخراب دولة الفرس على يد اليونانيين فتعجب الجميع من هذه العجيبة وداوموا مسيرهم لاخضاع السواحل وحكوا انهُ في جون بامفيلس (الان جون أداليا) تاخرت مياه البحر راجعة عند قدوم اسكندر ليجتاز ذلك المكان ولعل يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد اغتر بكلام

اليونانيين فصدق هذا الحادث وشبههُ بانفصال مياه البحر الاحمر لمرور الاسرائليين فيهِ

وارسلت اليوأسبندس (الان دشاش كير) وهي قاعدة بامفيليا رسلاً يعرضون لهُ رغبة الاهلين في تسليم المدينة اليهِ بشرط الا يغادر فيها جيش احتلال فرضي اسكندر وطلب اليهم ان ينقدوهُ خمسين زنة وان يعطوهُ الخيول التي اعدوها جزية لداريوس فابوا اجابتهُ الى ما سأل فزحف وحاصر مدينتهم واكرههم على اعطائهِ مائة زنة بدلاً من الخمسين وتسليم مدائنهم الكبيرة اليهِ كرهائن تجبرهم على الاذعان لاوامر الحاكم الذي ولاهُ وامرهم بنقد الحكومة المكدونية جزية معلومة في كل سنة ثم سار الى فرجية حيث كان ينتظرهُ قائده بارمنيو والجنود الجديدة التي امر بتجهيزها من بلاد اليونان ووصل الى غورديوم عاصمة تلك الديار فحلَّ او قطع عقدة كان الاقدمون يزعمون ان من يحلها يملك الاقطار الاسيوية ولا اعلم ما سرّ هذه العقدة واعجب كيف ان البشر يسقطون الى هذه الدرجة من الجهل فيعتقدون ان عقدة تخول الانسان السعادة كانها مفتاح كنوز العالم او ملك بيدهِ ارواح العباد فلا يستطيع احد ان يعصي لهُ امرًا وقد حكوا لذلك اسبابًا خرافية نوردها بالاختصار

كان في قديم الزمان لرجل فرجيّ اسمهُ غورديوس قطعة ارض صغيرة وزوجا بقرٍ كان يقرن زوجًا منهما للحراثة والزوج الآخر لجرّ عجلة وحدث ذات يوم انهُ بينما كان يفلح بستانهُ سقط على النير نسر وبقي واقفًا عليهِ الى المساء فرعب الرجل مما حدث واسرع لاستشارة سحرة التلميسيين وهم شعب يسكن قسمًا من جبال طورس او ألاداغ في ارمينيا واذ كان سائرًا لقي بنتًا عذراء تستقي ماء فاخبرها بما جرى لهُ فاشارت عليهِ ان يصعد الى قمّة رابية ويقدم ذبيحة لجوبتير ففعل ثم تزوجها فولدت لهُ غلامًا دعاهُ ميداس وكانت الحروب الاهلية قائمة وقتئذٍ في فرجيا على قدمٍ وساق فمل الفرجيون من الفتن واستشاروا وحيًا عما يجب فعلهُ لاخماد نارها اجابهم الوحي ان الآلهة سترسل اليهم ملكًا راكبًا في عجلة يتسلط عليهم ويصلح الاحوال وبينما كانوا مجتمعين يتذاكرون في هذا الامر اقبل ميداس في عجلتهِ فعلموا ان الوحي قد تم واقاموه ملكًا عليهم واهدى ميداس الى جوبيتر مركبة ابيهِ شكرًا لهُ على ما انالهُ وربط تلك المركبة بحبل وعقدهُ العقدة المشار اليها

وراى داريوس بعين الخوف والحسد تقدم ابن فيلبس ونجاحهُ فاغرى احد اعوانهِ بقتلهِ ووعدهُ ان يعطيهُ عشرة الاف

زنة وان يملكهُ على مكدونية فعلم ذلك بارمنيو واخبر بهِ اسكندر فقُبض حالاً على الخائن وجوزي كما يستحق

وكان ملك الفرس آخذًا في الاستعداد فجهز جيوشًا جرارة بلغ عددها ستمائة الف جندي تولى هو نفسهُ قيادتها غير انهُ شتان بينهُ وبين عدوّه اسكندر اذ المكدوني كان قائدًا خبيرًا وبطلاً مغوارًا لا يبالي بالاتعاب ولا يعبأ بالتنعم وزخرفة الملابس وكان داريوس سائرًا بعساكره كعروس تجلى على بعلها او من اين للعروس ذلك التاج المرصع وتلك الثياب الفاخرة المزينة بالجواهر وكانت امرأتهُ وسراريهُ يصحبنهُ في هذه الحملة كانهنَّ ساعيات الى ولائم وافراح لا الى ساحات الضرب والطعان

وما زال اسكندر جائلاً في البلاد منتصرًا حتى وصل الى كبدوكية وعسكر في سهل يدعى ساحة كورش والى الجهة الجنوبية من هذا السهل واقعة كيليكية التي يحيط بها البحر وجبال شامخة وعرة يصعب ارتقاؤها فارسل واليها كتيبة تحرس مضيقًا اسمهُ الابواب وهو المكان الذي يمكن الدخول الى البلاد منهُ وبلغ اسكندر ما دبر الاعداء فنهض ليلاً بفرقة من جنوده ودهم عساكر الفرس المحتلة المضيق فرعبوا وولوا

ها ربين وكان الوالي قد عول على نهب مدينة طرسوس حاضرة ولايتهِ قبل ان يغادرها فلم يمكنهُ المكدوني من اجراء ما نواهُ لانهُ اتاهُ مسرعًا كالبرق الخاطف ولو لم يبادر الى الهزيمة لذاق عذاب السعير

واعترى اسكندر في طرسوس مرض شديد على اثر المشقات التي تجشمها في هذه الحروب او لسبب اغتسالهِ بمياه كدنوس الباردة وهو متعب وجسده راشح وظن الجميع الا طبيبًا اسمهُ فيلبس الاكارناني ان موتهُ لامحالة قريب فعمل لهُ شرابًا ودفعهُ اليهِ ليشربهُ فتناول العلاج واعطى الطبيب كتابًا ارسلهُ اليهِ برمينيون يحذره فيهِ منهُ وكأن اسكندر لم يبالِ بالحمام او كان واثقًا بصدق اصدقائهِ فتجرع العلاج المذكور وشفي في الحال

ومشى بعد ذلك الى مدينة انخيالوس ونظر فيها ضريح سردانابالس(1) وتمثالهُ العظيم المكتوب عليهِ بيت شعر معناهُ هذا سردانابالس الذي بنى مدينتي انخيالوس وطرسوس في يوم

---

(1) هو اخر ملوك دولة نينوى الاشورية كان مسرفًا ومخنثًا وكان يقضي النهار والليل في قصره بين الجواري لا ينظره احد من رعاياه فنهض لذلك ارباسس والي ماديا وبلسس اشرف كهنة الكلدان وزحفا لمحاربتهِ بجيش جرار فتحول هذا الملك بغتةً الى بطلٍ مغوار فقاد جنوده ولقي عدوبهِ وكسرهما مرتين الا انهما استظهرا عليهِ اخيرًا وحاصرا مدينة نينوى فدام

واحد واما انتم ايها الغرباء فكلوا واشربوا والعبوا لان كل شيء يعملهُ البشر لا يوازي ذلك

وظن داريوس ان تاخر اسكندر عن قطع جبال سوريا الشمالية ناتجٌ عن جبن وخوف منهُ فرحل بجنودهِ حالاً من سهل صوخس الواسع الاطراف واجتاز مضيق امانوس ليتأثر عدوهُ كما زعم ويوقع بهِ ثم زحف جنوباً الى جهة خليج اسوس واستولى على المدينة وقتل الجرحى المكدونيين والرجال الباقين فيها لحمايتها وكان اسكندر قد عبر المضيق المسمى ابواب سوريا (بيلان) واتى وعسكر بالقرب من مدينة ماريا ندروس فلما علم بما فعل الفرس فرح واستبشر ونهض بعساكره ليلاً وما زال

الحصار سنتين ولما راى الملك انهُ لا سبيل الى خلاص المدينة جمع امواله ونساءهُ وجواريهُ وجلس معهن على حطب امر باشعاله فاشتعل واحترقوا جميعًا حينئذٍ دخل الاعداء نينوى وملكوها هذا ما رواه كتيزياس ووافقهُ عليهِ مورخون كثيرون يوخذ من كلامهم ان سقوط الدولة الاشورية كان سنة ٨٧٦ ق . م والمظنون ان قصة سردانابالس خرافة لانهُ هو الاله ساندون الذي كان الاسيون يعبدونهُ وهذه الرواية تخالف ما حكاهُ أَرُودونوس وما اثبتتهُ توراة اليهود لان كليهما يعلن انقراض الدولة النينوية بعد القرن الثامن قبل المسيح اما العلماء الحديثون فلكي يطابقوا بين الروايتين قالوا بوجود دولتين في نينوى احداهما انقرضت بموت سردانابالس والاخرى على يد كياكزراس المادي سنة ٦٠٦ ق . م

سائرًا حتى لقي أعداءهُ عند الصباح

ولو كان داريوس خبيرًا بالفنون الحربية لم يترك سهل صوخس العظيم حيث يمكن رجالهُ ولا سيما فرسانهُ الهجوم بسهولة والجولان في ميدان القتال ليأتي مكانًا يضيق بجيشهِ العرمرم ويختل بالقرب من ضفة نهر بناروس في ارض رديئة ومستوعرة ولا ريب ان جهلهُ وجبن رجالهِ قد ساقاهُ ومملكتهُ الى الهلاك والخراب لانهُ حينما انتشب القتال رعب الفرس وصاحوا بالويل والحرب وبعد ان قُتل منهم خلق كثير ولّوا وملكهم هاربين يطلبون النجاة ولم يثبت في ذلك النهار سوى اليونانيين الذين استاجرهم الفرس فردوا هجمات المكدونيين ومنعوهم من تاثر داريوس والقبض عليهِ

واستولى اسكندر في ذلك النهار على معسكر الفرس وسرادق الملك ووجد فيهما جواهر وامتعة ثمينة لا تحصى ولما كانت ام داريوس وامرأتهُ وجواريهِ غير قادرات ان يتبعنهُ وهو منهزم ورحى الحرب دائرة بقين في سرادقهن يندبن سوء حظهن اذ الاسيرات في الزمان القديم يحسبن إماء المنتصر ولو كن ملكات وبنات ملوك

ولا ريب ان ملك المكدونيين البطل قد فاق البشر

بشجاعته وشهامته لانهُ ارسل اليهن حالاً احد اعوانهِ ليطيب خاطرهن وفي الغد زارهن مع صديقهِ افستيون وحينما ابصرتهما سيزيغامبيس ام داريوس تقدمت اليهما مسرعة وخرت ساجدة عند قدمي افستيون ظانة انهُ الظافر على جيوش ابنها وحينما اشعرت بخطائها نكصت على عقبيها خجلاً وارادت الاعتذار فقال لها الملك قد اصبت ايتها السيدة ان استيفون هو نظير اسكندر

وكان اسكندر راغبًا في افتتاح المدائن البحرية ليمنع سفن الفينيقيين وغيرهم من احباط اعمالهِ والذهاب الى بلاد اليونان لاثارة الفتن فيها ومساعدة اللكديمونيين اعدائهِ فزحف بجنوده الى الجهات الجنوبية وما زال سائرًا والنصر يتقدمهُ حتى وصل الى صور وهي مدينة مبنية في جزيرة يفصلها عن البر خليج ضيق عرضهُ نصف ميل ذات اسوار متينة جدًّا علوها مائة قدم وقيل مائة وخمسون ولا يخفى ما كان لهذه المدينة من الاهمية والعظمة في الازمنة القديمة فانها كانت سلطانة التجارة واميرة البحار

وبلغ الصوريين قرب وصول هذا البطل فارسلوا اليهِ رسلاً يعلنون خضوعهم لهُ ويسالونهُ الانصراف عنهم فقال لهم اسكندر انهُ راض باجابتهم الى ما طلبوهُ بشرط ان يأذنوا لهُ

بالدخول الى مدينتهم ليذبح فيها ذبيحة ويقدم قرابين للإله اركيلس فارتد اولئك الرسل راجعين واخبروا من ارسلهم بما قال المكدوني وامر فعلموا جميعهم ان ورآء الاكمة ما ورآءها وعولوا لذلك على منعهِ ما ساله واستعدوا للقتال دفاعًا عن حريتهم واستقلالهم فزحف اسكندر اذ ذاك بجنودهِ والقى على المدينه الحصار واخذ في بناء تنهاة ليفصل البحر ويوصل الجزيرة بالبر وشاد برجين خشبيين ليحمي الفعلة ويرد الصوريين عن الاسوار غيران اجتهاده ذهب ادراج الرياح لان اولئك الاقوام النشيطين هجموا على رجالهِ برًّا وبحرًا وتمكنوا من هدم وحرق ما بناه

ولم يكن اسكندر من الذين تقعدهم المصاعب عن نيل ما يبتغون فجدّ في بناء تنهاة جديدة اوسع وامتن من الاولى وكان هو نفسهُ يدير العمل ويقاسم الرجال الاتعاب والمشقات فتسنى لهُ اتمام ما رام بناءهُ على رغم الجزريين الباسلين واتاه في ذلك الحين مدد من بلاد اليونان وسفن كثيرة من الاقاليم البحرية التي تغلب عليها فنشط الى الكر والكفاح واصبح قادرًا ان يضايق المحصورين ويحاربهم برًّا وبحرًا

وبعد ان حاصر المكدونيون صورًا سبعة اشهر انتصروا

على اعدائهم في البحر نصراً مبيناً ثم تقدموا الى البر وهجموا على الاسوار هجمة الضراغم فدام القتال يومين وفي اليوم الثالث استولى اسكندر على المدينة عنوة وقتل من اهلها ثمانية الاف نفس واستعبد ثلثين الفاً وما ذاك الا لان الصوريين كانوا يقتلون ويعذبون من يظفرون بهِ من المكدونيين واليونانيين فحسب فعلهُ هذا انتقاماً عادلاً اما الحكام وبعض من القرطجنيين الذين اتوا لعبادة آلهة اجدادهم فلجئوا الى هيكل اركيلس ونجوا بانفسهم

قال يوسيفيوس ان اسكندر بعد افتتاحه صوراً ذهب الى اورشليم وسجد لجدعيا رئيس كهنة اليهود وعمل اعمالاً اخرى املتها على ما اظن قريحة المورخ المذكور لان كل ذلك غير مكتوب في كتب اليونان ولم يروهِ احد من مورخيهم . واخضع اسكندر فنيقية وجميع البلدان المجاورة ثم زحف بجنودهِ الى القطر المصري ليستولي عليهِ فوصل اولاً الى غزة وهي مدينة في جنوب سوريا واقعة على بعد ميلين من البحر ومبنية على رابية عالية

ولما كانت هذه المدينة حصينة جداً وكان اهلها شجعاناً واقوياء دام حصارها مدة مديدة ولم يمكن المكدونيين الاستيلاء

عليها الا بعد ان قتلوا في الحرب جميع رجالها الاشداء فدخلوها ظافرين واستعبدوا نساءها واولادها ونقلوا اليها سكانًا من المدن القريبة منها وجعلوها حصنًا حصينًا لرد هجمات وغزوات العرب الابطال

ولا يخفى ان الاستعباد يوقع المرء في الخمول و يفقده تلك الصفات الحسنة التي يمتاز بها الرجل الحر الكريم ويجعلهُ محتقرًا ذليلاً لا يعرف الشهامة والوداد ويرى الفخر كل الفخر في الخيانة والغدر وسبب ذلك انهُ فقد حقوقه الشخصية وسُلب احسن صفات الانسانية فربي في حجر الخوف من مولى يكرّمهُ وهو يبغضهُ ونشأ وحب الانتقام ينمو في قلبهِ ويد الظلم مثقلة كاهلهُ. هذه هي صفات المصريين القدماء في عهد اسكندر لان نير عبودية الفرس قد اوقعهم في مهاوي الذل والمسكنة فنسوا كونهم سلالة اولئك الاقوام الذين رفعوا شان الانسانية بعلومهم وآدابهم وخطوا لهم بقلم الفضل على جبهة الدهر ذكرًا لا يمحى وعليهِ فلم يجد المكدونيون مانعًا من افتتاح ذلك الاقليم الواسع الارجاء والتقدم في البلاد طولاً وعرضًا كيف لا وعساكر الفرس كانت هناك قليلة جدًا والوطنيون سروا بهذا التغيير

وقدم اسكندر في ممفيس ذبائح لآلهة المصريين شكرًا لها على انتصاره العظيم وبعد ان اقام فيها وفي بلوز يوم عساكر كافية لحماية القطر عاد راجعًا بمن بقي معهُ الى كانوبس (بالقرب من ابي قير) وبنى في تلك البقعه مدينة دعاها الاسكندرية وبما كان مركز هذه المدينة الجديدة حسنًا جدًّا وموافقًا للتجارة في جميع الاقطار اصبحت من اعظم مدائن مصر والشرق ولم تزل الى الان مشهورة يتوارد اليها تجار وسياح الخافقين

وكان في قفر ليبيا هيكل للإله جوبتير عمون يقصدهُ الزوار الآسيون والمصريون من كل فج عميق فهو عند هولاء الاقوام بمثابة هيكل ذلفي عند اليونان اي وحي ينبيء الزائرين بطوالعهم ونجاح او إخفاق مساعيهم وما ينوون فهذا الهيكل قصده اسكندر وسال كهنتهُ عن نجاح حملتهِ على الفرس فقالوا لهُ انهُ ابن جوبتير وان الالهة ستاتيهِ بفتح قريب فسر اسكندر جدًا وعاد راجعًا من حيث اتى وبعد ان نظم الحكومة واقام حكاما وطنيين وترك في البلاد جنودًا مكدونية سار مسرعًا الى فينيقية ومنها الى الفرات فعبرهُ سنة ٣٣١ والتقى بجيوش داريوس بالقرب من مدينة اربلا في سهل غوغاملا وكانت عساكر الفرس مليون راجل واربعين الف فارس ومائتي مركبة حربية وخمسة عشر

فيلاً وقال بعضهم ان عدد الرجالة لم يكن اكثر من ستمائة الف نفس اما الفرسان فكانوا مائة وخمسة واربعين الفًا واظن بالرواية الاولى مبالغة في عدد المشاة وبالثانية زيادة في عدد الفرسان والعهدة في هذا الامر على المؤرخين اليونانيين الذين يحبون تعظيم اسكندر فيكثرون في صفحات تواريخهم جنود اعدائهِ ولو كانت اقل عددًا في ميادين القتال حتى يكون لنصراتهِ لدى الخلف شان عظيم ودليل ذلك قولهم ان عساكر ملك مكدونية كانت اربعين الف راجل وسبعة الاف فارس فقط

والتقى الفريقان عند المساء في السهل المشار اليهِ آنفًا واحتلا مكانًا تجاه بعضهما وقضيا ذلك الليل بالاستعداد للكفاح وكان قواد اسكندر يشيرون عليهِ ان يقاتل الاعداء تحت جنح الظلام لانهم اكثر عددًا فيمكنهُ الفتك بهم والرجوع الى الوراء فينهضون اذ ذاك ويحاربون بعضهم وهم لا يدرون الا ان اسكندر ابى ارتكاب هذه الخيانة ونام تلك الليلة ملء جفونهِ ولما اصبح الصباح لم يستيقظ فاتاهُ برمينيو وقال لهُ اراك نائمًا بهدوء كانك نلت الظفر اجابهُ ألست تعدُّ لقاءنا داريوس وجيوشه انتصارًا مبينًا

ثم انتشب القتال وكانت عساكر المكدونيين تسير الى جهة ميسرة الفرس لتحارب قسماً منهم وتشتت شمله قبل أن يطبق عليهم داريوس بجنوده الجرارة فادرك ذلك الاعداء وهجموا عليهم بالخيل والرجل فدام القتال برهة ثم انجلت المعركة عن هزيمة الاعاجم وفي مقدمتهم ملكهم داريوس الذي قطع جبال ارمينيا ومادي تقفواثره اسكندر ولما وصل الى تلك الجهات اخبرهُ بستانس بن اوخس ملك الفرس السابق ان داريوس قد غادر هذه الارجاء من خمسة ايام ومعهُ ثلثة الاف فارس وستة الاف راجل فسار اسكندر حتى وصل الى مضيق جبال قزبين فلقي هناك باجستانس وهو شريفٌ بابليٌ وعلم منهُ ان باسس والي بكتريا (بخارى) قد اتحد مع نابارزانس قائد فرسان داريوس ومع بارزأينتس والي درانغيانا وارخوزيا (سجستان والقسم الجنوبي الشرقي من افغانستان والشمالي الشرقي من بلوخستان) وخرج على داريوس فاسرع اسكندر اذ ذاك بسيره الى ان وصل الى المعسكر الذي هرب منهُ باجستانس فوجد بعض فرق من جيش العدو اخبرتهُ ان باسس قد القى القبض على داريوس واعلن نفسهُ ملكًا اما العساكر اليونانية المستاجرة فانفت من فعلهِ وتركتهُ ولجئت الى الجبال

حينئذٍ جدَّ اسكندر في سيره و بعد ان مشى نهارًا واحدًا وليلين ادرك الاعداء فلما راوه مقبلاً طعنوا داريوس وتركوه مطروحًا على وجه الارض فمات ذلك الاميرالتعيس وهو اخر ملوك العائلة الهستاسبية ويظهر ان موته قد احزن اسكندر فامر ان يحمل الى بلاد فارس ويدفن بالتجلة والتكريم في مدفن الملوك اجداده واحلَّ اولادهُ محلاً عاليًا وتزوج باستاتير اكبر بناتهِ

وما زال اسكندر متاثرًا اولئك الاقوام العصاة حتى عبر نهر الاوكسس (جيحون) فبلغهُ هناك ان باسس الذي خان داريوس مولاهُ قد خانهُ تابعهُ سبيتامينس واتفق بعد ذلك ان المكدونيين لقوا باسس الخائن المذكور فالقوا القبض عليهِ واماتوه شرَّ ميتة جزاء لهُ على فعلهِ القبيح وقدر سبيتامينس بدهائهِ ومكرهِ ان يستميل سكان الاراضي والولايات التي مرَّ فيها فلحق بهِ اسكندر وتوغل لذلك في اقاليم أَرْيَا (القسم الشمالي من خرسان والغربي مع الجنوبي الغربي من افغانستان) وبكْتريا (بخارى) وصوغديانا (قسم من تركستان وبخارى وهو يشتمل الان على القطر المدعو صوغد الى يومنا هذا) ولما كان اهالي تلك الارجاء شجعانًا واشداء لم يبالوا ببطل مكدونية وجيوشهِ

بل قاتلوهُ مدة مديدة ولم ينتصر المكدونيون عليهم الا بعد حروب طويلة سالت فيها على الارض دماء الابطال انهاراً ثم عبر اسكندر نهر جاكزرتس (سيحون) وحارب السكيتيين واخضعهم وكانت اهالي البلاد الواقعة بين بحر قزبين ونهر سيحون مجاهرين بالعصيان فاسرع لمحاربتهم وكسرهم في وقائع كثيرة فخضعوا لهُ صاغرين اما قبيلة المسّاجتي فانها نهبت معسكر حلفائها وولت هاربة مع سبتيامينس الى القفار ولما علمت ان اسكندر معول على قتالها قتلت ذلك القائد النشيط وارسلت راسهُ الى المكدوني دلالة على خضوعها لهُ ورغبتها في السلام

وكان رجل باكتريٌّ (بخاريٌّ) اسمهُ اوكزيارتس وهو احد اعوان باسس قد لجئ مع عائلتهِ الى رابية مستوعرة في اقليم صوغديانا فاسرع اسكندر للقبض عليهِ وتمكن من ذلك بعد مشقات عظيمة وكان لهذا الرجل ابنة اسمها روكسانة كانت تعدّ من اجمل نساء الشرق فتزوجها اسكندر وانعم على ابيها اكرامًا لها

وصرف اسكندر اربع سنوات في محاربة اهالي تلك الديار المتوحشين فخضع لهُ جميع الامم الساكنة في البلاد الواقعة

بين بحر قزبين ونهر جاكزرتس (سيحون) وسلاسل الجبال الشامخة التي يخرج منها نهر الهند والكنك وبنى عدة مدن لردّ غزوات البرابرة وقمع من جاهر منهم بالعصيان

وكان اسكندر بعد قهرهِ داريوس وجنودهُ في موقعة اربلا قد زحف الى بابل ومنها الى سوزا (الان خراب بالقرب من شوس) ثم الى برسيبوليس فوجد فيها اموالاً كثيرة بلغت على ما قيل ثلثين مليون ليرة انكليزية اما الجواهر وامتعة داريوس الثمينة فكانت كافية لتحميل عشرين الف برذون وخمسة الاف جمل وحدث ان اسكندر عمل وليمة في الليلة التالية ليوم وصولهِ اليها فبينما كانت كؤوس الصفو والسرور دائرة على الامراء والاعيان المجتمعين قامت احدى النساء الحاضرات المسماة تائس وسالت الملك ان يامر بحرق قصر المدينة البديع انتقاماً من الفرس لان ملكهم اكزركس قد حرق آثينا قبلاً فاجابها اسكندر الى ما طلبت واشعل هو نفسهُ ذلك البناء الفاخر غير انهُ ندم بعد برهة واراد اطفاء النار فلم يمكنهُ اطفاؤها

وفي ربيع سنة ٣٢٧ ق٠م زحف اسكندر بجنودهِ الى بلاد الهند وقهر وهو سائر جميع القبائل الساكنة في الجهات الشمالية

من تلك الديار وانعم على تاكسيلس الامير الهندي المالك على الاقليم الواقع بين نهري الهند والهدسبس (الان جولم) لانهُ خضع لهُ اختياراً واقدم على مساعدتهِ بالخيل والرجل وما زال المكدونيون سائرين والظفر يتقدمهم حتى لقوا بورس الامير المالك على الاقليم الواقع وراء نهر الهدسبس وكان هذا الامير قرماً شجاعاً وبطلاً مغواراً فجهز ثلثين الف راجل واربعة الاف فارس وثلثمائة مركبة حربية ومائتي فيل واستعد لمحاربة اعدائهِ الغرباء ولما عبر اسكندر النهر بفرقة من جيوشهِ هجم عليهِ ابن بورس بالفي فارس ومائة وعشرين مركبة فانتشب القتال ودام برهة الا ان المكدونيين استظهروا اخيراً على الهنود وقتلوا قائدهم واربعمائة فارس واخذوا منهم مركبات كثيرة وفي هذه الاثناء كان معظم الجيش المكدوني قد عبر النهر واستعد للهجوم على عساكر بورس فالتحم الفريقان وحمي وطيس الحرب وخرت الابطال صرعى بضربات السيوف البواتر وطعنات عوالي المران ومات في ذلك النهار ابنا بورس وعشرون الفاً من رجالتهِ وثلثة الاف من فرسانهِ وولى الباقون هاربين فلحق المكدونيون بهم وقبضوا على بورس واحضروهُ الى اسكندر حياً فعجب هذا البطل من طول قامتهِ وشجاعتهِ الظاهرة على محياه الصبيح وسالهُ

قائلاً كيف تريد ان اعاملك اجابهُ الهندي معاملة ملك فسر اسكندر من جوابهِ ورد عليهِ ملكهُ واتخذهُ صديقًا وحليفًا واضاف الى مملكتهِ بلاد غلوزي وامر في الحال بدفن القتلى والاحتفال بالعاب رياضية ثم بنى على ضفة نهر الهدسبس حيث جرت المعركة مدينة دعاها نيكيا وعلى الضفة المقابلة مدينة اخرى دعاها بوكيفاليا تذكارًا لجوادهِ بوكيفالس الذي مات هناك. ثم زحف لمحاربة امير آخر هندي اسمهُ بورس ايضًا فقهرهُ واستولى على البلاد الواقعة ما بين نهري اكيسينس (الان شينوب) وهيدرَوْتس (الان رفي) وافتتح مدينة سنغالا بعد حصار شديد وقتل من اهلها سبعة عشر الف رجل وولى على جميع تلك الارجاء حليفه الجديد بورس وبنى بالقرب من ضفة نهر الهيفاسيس في اراضي بونجاب اثني عشر مذبحًا عظيماً تحاكي بعلوها وكبرها اعظم حصون ذلك الاقليم وجعلها اخر حدود غزواتهِ لان المشقات والحروب نهكت عساكرهُ وشوقتهم الى بلادهم فابوا ان يتوغلوا اكثر في تلك الديار وطلبوا الرجوع الى الاوطان

وكان اسكندر عازمًا ان يجول في جميع الاقطار الهندية ويستولي عليها فاحزنهُ جدًّا خبر تمرد جنوده فجمع في الحال

روساء الجيش وخاطبهم بما معناه : لسنا بعيدًا الان من نهر الكانك والبحر الشرقي الذي يحيط بالعالم ويتصل ببحر الهند بالقرب من خليج العجم فلا بد لنا اذًا من اجتيازهِ والتوغل في افريقيا حتى نصل الى اقاصي الدنيا عند اعمدة اركيلس (بوغاز جبل طارق) ولقد كان يحق لكم ان تضجروا من هذه الغزوات لو لم اكن مساويًا لكم في تحمل الاتعاب وخوض بحار الاخطار انظروا الى هذه البلاد الواسعة الاطراف واعلموا انكم ستملكونها وكنوزها الثمينة غنيمة باردة وحينما نستولي على سائر الاقطار الاسيوية واراد احد منكم الرجوع الى وطنهِ فانا اوصلهُ ومن اراد البقاء معي اجزل لا محالة صلتهُ

فعقب كلامهُ هذا سكوت عظيم ولم يجسر احدٌ ان يفوه ببنت شفة حينئذٍ تقدم كينوس وهو قائد شيخ وسالهُ ان ياذن للعساكر بالرجوع الى مكدونية وان ياتي من هناك بجنود آخرين راغبين في الحرب والنجاح فغضب اسكندر عند سماعهِ هذه الكلمات ودخل الى سرادقهِ وفي الغد دعاهم ثانية وقال لهم انني لا اكره احدًا ان يتبعني بل انا عازم ان اذهب وحدي اذا مست الحاجة فمن اراد منكم الرجوع فليرجع وليخبر اليونانيين انهُ ترك ملكهُ ومضى ثم عاد الى سرادقهِ واقام فيهِ ثلاثة ايام لا يكلم احدا

غير انهُ لما راى استحالة اغراء قواده وجنودهِ بالتوغل في تلك الديار البعيدة من الاوطان عزم على الرجوع حالا وامر رجالهُ بالتاهب للمسير فكان لصوتهِ هذا صدى فرح وحبور في قلوب الجميع

وكان المكدونيون قد جمعوا الفي سفينة في نهر الهدسبس فركبها اسكندر مع قسم عظيم من عساكره اما الباقون فتقدموا ماشين على ضفتي ذلك النهر وما زال هذا الجيش العرمرم سائرًا والنصر خادمهُ حتى وصل الى اراضي الماليين والأوكسدراكيين فجرت بينهُ وبين الوطنيين وقعات كثيرة كاد اسكندر ان يقضي نحبهُ في احداها لانهُ بينا كانت جنوده تُحاصر قلعة للماليين امر بوضع السلالم على الجدران وكان هو اول من رقي الى السور فاحاطت بهِ الاعداء من كل جانب وبادروا اليهِ بالسهام والسيوف القواضب فنهبوا مهج بعض اعوانهِ ورموهُ بسهم شق درعهُ ونفذ الى صدره فسال دمهُ ووقع على الارض مغشيًا عليهِ وكانت السلالم قد تحطمت فاقتحم المكدونيون الاسوار وكسروا ابواب المدينة وولجوها ظافرين غانمين واسرعوا لاعانة ملكهم وقائدهم المحبوب فانتاشوهُ من براثن الموت وحملوه الى سرادقهِ وهو في تلك الحالة المخطرة ولم يسكن روعهم الا حينما عاودتهُ

الصحة والعافية وعاد الى قيادة الجيش وتدبير احوالهِ. وبعد ان وصل الى مصب نهر الهند وابصر من تلك الانحاء الاوقيانوس العظيم وشاهد المدّ والجزر فيهِ حول مسيره الى الجهة الغربية ودخل بلاد جدروزيا (الاقليم الجنوبي الشرقي من بلوخستان) وقسم جنودهُ الى فرق امرها ان تزحف من جهات مختلفة وتخترق تلك الفيافي المقفرة وكان هو سائرًا مع رجالهِ يقاسمهم المشقات والاتعاب غير مبالٍ بالجوع ولا العطش المهلك ودامت الحال هكذا الى ان وصل الى اراضي كارمانيا المخصبة حيث التقى بفرق كثيرة من جيشهِ اتت ذلك المكان من طرق عديدة حسبما اوعز اليها اما قائدهُ نيارخس فذهب بالعمارة المشار اليها آنفًا من مصب نهر الهند في ٢١ ايلول سنة ٣٢٦ ق.م وسافر في البحر ليشاهد السواحل ويعاين مصبي نهري الفرات والدجلة فجال في البحر ثلاثة اشهر ووصل الى سوزا سالمًا في شهر نيسان سنة ٣٢٥ ق.م

قال بعضهم ان اسكندر وجنودهُ قضوا سبعة ايام في كارمانيا غارقين في بحار الملذات والسرور يتعاطون المدام ويتمايلون من شدة السكر واظن هذه الحكاية مختلقة لان المورخين المعاصرين لم يرووا شيئًا من ذلك وقال آريان

المؤرخ انها اكذوبة شبيهة باساطير الاولين

وظن حكام عواصم البلاد الفارسية ان اسكندر سيهلك لا محالة في غزواتهِ وحروبهِ فنبذوا الطاعة واستبدوا بالاحكام فعلم ذلك المكدوني واسرع الى تلك الديار وقبض على حاكمي برسيبوليس وسوزا وعاقبهما حسبما يستحقان اما حاكم مدينة بابل فاخذ أموالهُ وفر هاربًا الى آتينا فمنعهُ الاتينيون من الدخول الى اراضيهم فارتدَّ راجعًا وبعد ايام قليلة مات قتلاً فنال هذا الامير الخائن جزاء خيانتهِ

وكان اسكندر يفكر في غزوات جديدة الى جهة شبه جزيرة العرب وبلاد الحبش ليوسع نطاق مملكتهِ وينشط التجارة في جميع الاقاليم الخاضعة لهُ فهدم الجسور المانعة المراكب من السير في نهر الفرات وغيره وعمل جونًا لمدينة بابل يسع الف سفينة وأجرى اصلاحات عديدة نافعة لم تخطر قط في بال ملوك الفرس الجاهلين. وارسل سفنًا تجول في خليج العجم لتحيط علمًا باحوال سكان السواحل العربية وما يجاورها من البلدان

ولا ريب ان هذا الملك الشهير والبطل العظيم قد قرن الشجاعة والشهامة بالفطنة والحكمة لانهُ راى رأيَ الحاذق

البصير وعلم ان القوة والبطش لا يكفيان لتوطيد سلطتهِ على سائر الاقطار الخاضعة لهُ بل يجب لذلك مزج تلك الامم المختلفة وجعلها شعباً واحداً مرتبطاً بصلات الحب والعوائد فجيش من الشرقيين بعد واقعة اربلا جيشاً عرمرماً اضافهُ الى جيشهِ المكدوني اليوناني وامر رجالهُ ان يقتدوا بهِ و يتزوجوا بنات فارسيات لتوثيق عرى المحبة وازالة البغض والشحناء ومات في ذلك الحين صديقهُ افستيون فحزن عليهِ حزناً شديداً وبقي ثلاثة ايام وثلاث ليال لا يغير ثيابهُ ولا يذوق طعاماً وامر ان يحتفل بجنازتهِ احتفالاً ملوكياً ويبنى لهُ ضريحاً بديعاً . ولما كان السلام ورغد العيش يجددان شجونهُ ويذكرانهِ بحبيبهِ المتوفى زحف بفرقة من جنودهِ لمحاربة الكوسيين الساكنين بالقرب من حدود ماديا وفارس وكان هولاء الاقوام ابطالاً شجعاناً لم يخضعوا قط لامة غريبة بل كانوا مرهوبي الجانب حتى ان ملوك الفرس كانوا يقدمون لهم في كل سنة هدايا ليكفوا غزواتهم ويمنعوا اعتداءهم عليهم فنازلهم اسكندر واذاقهم من حربهِ عذاب السعير فذلوا واستسلموا لهُ ثم عاد راجعاً الى بابل فلقيهُ سفراء اتوا من اقاصي العالم ليعلنوا صداقة مواطنيهم لهُ ورغبتهم في محالفتهِ فسرجداً واخذ يفكر في الاستيلاء على جميع تلك الاقطار

غيران الموت كان واقفًا لهُ بالمرصاد فلم يمهلهُ طويلاً بل اختطفهُ وهو في ريعان الشباب وسبب موتهِ النهم في الاكل وادمان الخمر في بلاد حارة فاعترتهُ لذلك حمى شديدة لزمته تسعة ايام فقُبض في ٢٨ ايار سنة ٣٢٣ ق. م في السنة الثالثة والثلاثين من عمرهِ

ان من امعن النظر في اعمال اسكندر منذ تبوأ عرش مكدونية الى ان راح مدروجا بالاكفان يتضح لهُ جليًا حسن سجايا هذا الامير المطبوع على الجود والشجاعة والاحسان الى النوع البشري لا سيما بزمان كان فيهِ اكثر عوائد واخلاق الامم المتمدنة وغير المتمدنة وحشية فاسدة ويرى الغلطات التي ارتكبها والمظالم التي اجراها لا تنقص قدره الرفيع لانهُ في كل حال انسان والانسان ضعيف تغتفر ذنوبهُ الطفيفة في جنب افعالهِ العظيمة التي تخلدها صحف التاريخ ولو عاش هذا البطل المفضال عمرًا طويلاً لقدر ان ينظم مملكتهُ الواسعة ويخلص رعاياه الكثيرين من البلايا التي سببتها اطماع اعوانهِ كما سترى. ولا يمكننا ختم هذا الفصل قبل ان نذكر قتله صديقهُ كليتوس في سنة ٣٢٨ ق. م وذلك انهُ كان وخلانه في وليمة فدارت عليهم كؤوس المسرات ولعبت الخمر برؤوس الجميع فاخذ

اسكندر يفتخر باعماله وشجاعته واقدامه ويمتهن سائر الملوك حتي انهُ حقّر اباه فيلبس وسخر منهُ فاغتاظ كليتوس واجابهُ بجدة واهانه فغضب اسكندر جدًّا لكنهُ تربص قليلاً الى أن آن اوان انصراف المدعوين فوقف وراء الباب مشهرًا خنجرًا ولما خرج كليتوس ضربهُ ضربة سقاهُ بها كاس المنون

الباب الثاني

من موت اسكندر سنة ٣٢٣ ق٠م
الى حين انقراض دولة البطالسة
في مصر وموت كليوبترة سنة ٣٠ ق٠م

الفصل الاول

في ما جرى بعد موت اسكندر الى حين تجزء مملكته
تجزءا نهائيًا سنة ٣٠١ ق٠م على اثر واقعة ابسس

ان الموت الذي اختطف اسكندر سلطان الخافقين وهو في ريعان الشباب قد احيا الرعب في قلوب البابليين لانهم اشعروا بعظم الاخطار المحيطة بهم وبالرزايا التي يمكن ان تفاجئهم لافول نجم هذا البطل المغوار حتى كأن صوت ناعيه في اذانهم صوت اله المنايا اذا وافى ينذرهم بقرب الممات افرعوا الى

منازلهم واقاموا فيها ينتظرون من ذلك الضيق فرجا. اما الجنود فابتدرت سلاحها وقضت ذلك الليل باستعداد تام للقتال كأنّ العدو قريب والحرب على الابواب . نعم ان العدو كان قريبًا ومحتلاً داخل الاسوار الا وهو اطماع الروساء والقواد لان موت اسكندر اوقع مملكته الواسعة الممتدة الى اقاصي العالم المعروف في حالة فوضوية لعدم وجود وارث حقيقي يرث ملكهُ بعدهُ فاخوه ارّيدايوس كان ذا جنة وامراتهُ روكسانة كانت حبلى في شهرها السادس ومن يعلم ان كانت تلد ذكرًا ام انثى لذلك كان الجميع يخشون شبوب نار حروب مهولة لا يطفئها سوى دماء الابطال وخراب البلاد ولما اصبح الصباح اجتمع الروساء والقواد في قاعة القصر وفتحت الابواب لتكون المذاكرات علنًا ووضع في وسط القاعة العرش وعليهِ الأكليل وثوب الارجوان وسلاح الملك المتوفى

وكان برديكاس احبّ اولئك الروساء والقواد الى اسكندر ذا همة عالية وقوة وبطش يحكيها قوة و بطش الوحوش الضارية فاليهِ قد سلم الملك خاتمهُ قبل موتهِ لدى اعوانهِ الواقفين حول سريره يبكون و ينتحبون فظن هذا البطل انهُ هو الملك المزمع ان يتبوأ العرش و يتسلط على جميع الاقطار التي

افتتحها اسكندر بشجاعتهِ واقدام جنودهِ الا انهُ اظهر التواضع ليستتب لهُ الامر وينفي من قلوب القواد روح البغض الشحناء فوضع الخاتم بالقرب من الاكليل وخاطب الحاضرين قائلاً : يا رفقائي الكرام ان مصابنا لمصاب عظيم فيحق لنا ان نبكي سيدنا المفضال اناء الليل واطراف النهار ولكن الآلهة التي ارسلتهُ الى الارض حيناً من الزمان قد دعته اليها واسكنتهُ في منازلها السماوية فلنقدم اذاً لجسده الاكرام اللائق بهِ ولنفكر في تدبير احوالنا واقامة رئيس اورؤساء كما تشاءون لسياسة هذه المملكة الواسعة ومع هذا كلهِ انتم تعلمون ان روكسانة حبلى في شهرها السادس فلربما تلد ولدًا ذكرًا يرث ملك ابيهِ فمن الواجب ان نقيم وكيلاً وقتيًّا يقبض على زمام الاحكام حتى نرى ماذا يكون

حينئذٍ نهض بطلماوس واجابهُ بما معناه : لعلنا اجهدنا النفس في محاربة البرابرة وقهرهم لنخدم ذريتهم ونكون لهم عبيدًا فمن الواجب علينا نحن اعضاء مجلس الشورى ان نضع عرش اسكندر في محلهِ ونلتئم حولهُ مؤتمرين بالمسائل المهمة تحت كنف ملكنا المتوفى الشبيه بالآلهة فيكون اجتماعنا مجلسًا عاليًا يصدر اوامرهُ الى ولاة الولايات العديدة ليعملوا بموجبها . قال هذا وهو

يرجو تقسيم المملكة لينال من تلك القسمة نصيبًا غير ان العساكر والفرسان الحاضرين رفضوا طلبهُ واظهروا الكدر من مقاصده الشريرة فقام ارستونيوس وهو صديق برديكاس واسترعى السمع وقال الى م ايها المكدونيون تبحثون في مسألة حسمها اسكندر نفسهُ الم تروا انهُ اقام برديكاس نائبًا عنهُ باعطائهِ لــهُ وهو على فراش الموت خاتم الملك فضج الجمع الواقف باصوات السرور والاستحسان كأنهُ رضيَ بما اشار بهِ وعول على تنصيب صديقه ملكًا او نائبًا يتولى الاحكا الى ان يشب ابن روكسانة

ويلوح ان برديكاس قد فقد شجاعتهُ واقدامهُ في ذلك المحفل الحافل فنكص على عقبيهِ ولم يرتق حالاً سرير الملك على مراى من الروساء والقواد المجتمعين ليجني ثمر استحسانهم كلام صديقهِ اروستونيوس ولعلهُ تربص قليـــلاً ليظهر تواضعهُ ويحملهم على التصريح بتنصيبهِ ملكًا فارتكب في كلا الامرين غلطًا فادحًا

ولما كانت الجنود المكدونية ترغب في صيانة المملكة من الانقسام وتود تولية رجل وطني سليل العائلة الملكية كانت غير راضية عن الامراء المجتمعين ومستعدة لان تحبط اعمالهم وترد كيدهم في نحرهم فاعلنت ما تريد بوقاحة عظيمة وذهبت مع

زعيمها مَيْلِيَا غروس وهو عضو في مجلس الشورى لاحضـــار اريدايوس اخي سيدها وقائدها البطل المغوار وتنصيبهِ قوة واقتداراً فادرك المجتمعون ما وراء ذلك من الاخطار لمصالحهم الشخصية فبادروا جميعاً الى اقامة برديكاس رئيس الفرسان وليوناتس رئيس الحرس حاكمين يجريان ما امر بهِ الملك المتوفى ويصلحان الاحوال المختلة ثم اسرعوا الى الخروج من المدينهِ هرباً من الجنود تاركين فيها برديكاس وحدهُ ليقمع الثائرين بشجاعتهِ وحكمته الفائقة فقدر هذا القائد الخبير والفارس الشهير ان يستميل السواد الاعظم من اولئك الجنود ويمنع حدوث حرب مهولة كان لا بد من حدوثها لو اصرَّ كلا الفريقين على الانتصار لرئيسه فاتفقا ان اريدايوس وابن روكسانة يكونان ملكين في وقت واحد وان برديكاس ومَيْلِيَا غروس وليوناتس يُقامون اوصياء لابن اسكندر الناصر غير انهُ لما استتب الامر لبرديكاس وقويت شوكته جمع الجنود والفرسان للاحتفال بعيد وطني وقبض في اثناء ذلك على ثلثمائة رجل هم زعماء الثائرين واماتهم شر ميتة اما مَيْلِيَا غروس فهرب الى هيكل واختبأ فيهِ فلحق بهِ رجال عدوهِ وسقوه كاس الحمام

وزعم برديكاس ان بموت خصمهِ هذا الالد قد زال كل

خطر واصبح هو الآمر الناهي فاراد تدبير الاحوال واقامة رؤساء لا يخشى منهم ضرراً فرضي بتنصيب اريدايوس ملكاً مع ابن روكسانة الذي ولدته بعد ذلك وسمته باسم ابيهِ ومنح كلاً من القواد ولاية يسوسها ليبعده من عاصمة المملكة ويكون هو في اعمالهِ حرًّا مستقلاً فنال بطلماوس القطر المصري واخذ لزيماخوس ثراكة وتولى أنتيغونس وليوناتس ادارة اقليمي فرجيا الكبرى والصغرى وقبض ايمانوس على زمام احكام كباد وكية وبيثون على ماديا كراتيروس مع انتيباترعينا واليبن على بلاد اليونان ومكدونية اما بقية الولايات فاعطيت لمن كان يسوسها قبلاً من قبل اسكندر

هذا ما فعلهُ برديكاس املاً ان يستبدَّ بالاحكام في عاصمة المملكة ويفرق كلمة رفقائهِ الطمعين بتفريقهم في البلاد وزرع بذار الحسد في قلوبهم اجمعين ليقوى على كلٍ منهم ويستطيع ارتقاء اوج السعادة والفخار وارجاع المملكة كما كانت سالمة من الانقسام فترتع شعوبها العديدة في بحبوحة الراحة والسلام وتنقاد لاوامرهِ طائعة صاغرة

كل ذلك جارٍ وجثة اسكندر مطروحة في قصرهِ لا يعبأُ بها ولا ينتبه الى دفنها بالتجلة والاكرام كما يليق بالملوك العظام

نظيره لان اطماع اولئك الامراء قد اثارت الفتن فاورثتهم شغلاً شاغلاً وجعلت الاحتفال بجنازة سيدهم امرًا غيرمهم لدى تلك الانقلابات التي يترتب عليها شقاؤهم وسعادتهم في الدنيا الا انهُ لما انفرجت الازمة بانتصار بر‌ديكاس بادروا الى تحنيط الجثة لينقلوها ويدفنوها في هيكل جوبتير عمون في اقليم ليبيا حسبما اوعز اليهم الملك قبل موته على ان الحوادث قضت بدفنها بمدينة الاسكندرية بعد سنتين من يوم وفاتهِ

ولم يكن الهيجان محصورًا في بابل عاصمة البلاد بل ان روح الثورة سرت الى جميع اطراف المملكة فنهض اولئك الشعوب المختلفو الاجناس وجاهروا بالعصيان لان تلك اليد القوية التي اخضعتهم حينًا من الزمان قد شلها الموت واستعبدها سلطان الفناء فاصبحوا حسب زعمهم احرارًا لا يطيعون اميرًا غريبًا وعليهِ فالولاة الحديثون لم يمكنهم القبض على زمام احكام ولاياتهم الا بعد سفك الدماء وخوض لجاج حروب اختلفت اهميتها باختلاف طباع وشجاعة الاقوام الثائرين

وكان برديكاس راغبًا في توطيد سلطتهِ باية وسيلة يراها صالحة لاحباط اعمال رفقائهِ ولاة الولايات العديدة واضعاف شوكتهم واهلاكهم اذا امكنهُ ذلك ليبسنى لهُ وحدهُ ارتقاء عرش

مملكة اسكندر كما اشرنا آنفًا فبدأ بانتيغونس وهو والي فرجيا وامرهُ بالحضور الى بابل ليتبرأ امام الجيش من التهم الكثيرة التي القاها على عاتقهِ فعلم انتيغونس ان وراء الاكمة ما وراءها فغادر بلادهُ وفرَّ هاربًا الى مكدونية واستجار بواليها انتيباتر وكراتيروس فاجاراه وتلقياه بالترحاب والاكرام وعولا على محاربة خصمهِ انتصارًا لهُ وكان بطلماوس مكتفيًا بالتسلط على الديار المصرية فاوجس خوفًا من نوايا برديكاس وارسل رسلاً الى انتيباتر ورفيقهِ لينبهوهما الى اطماع ذلك الرجل ويحثوهما على اتخاذ الوسائل الواقية للبلاد من استبداده ورغبته في اهلاك من يراهُ قادرًا ان يمنعهُ لذة التمتع بالسيادة والملك عليهم فتحالفوا جميعهم وجهز واليا مكدونية جيشًا عرمرما وزحفا لمقاتلة عدوهما في ارضهِ وبلغ برديكاس ما جرى فنشط للكر والكفاح ونهض في الحال وقسم جيشهُ الى قسمين سلم قيادة قسم منهُ لايمانوس والي كبادوكية وما يجاورها وزحف هو بالقسم الاخر لمحاربة بطلماوس ولما علم ذلك انتيباتر وكراتيروس قسما ايضًا جيشهما الى قسمين وتقدم الاول الى جبال كليكية ليعترض برديكاس ويمنعهُ من الذهاب الى مصر ومشى الثاني لمحاربة ايمانوس فلقيه بالقرب من سهل روادة فانتشب القتال ودارت سقاة المنون تجرع الابطال كأسًا

دهاقًا ودامت الحرب برهة الى ان خرّ كراتيروس قتيلاً فرعب رجالهُ وولوا منهزمين وما زالوا سائرين يقطعون السهول والحزون حتى لقوا انتيباتر واعلموه ما حدث

اما برديكاس فاسرع في سيره ووصل الى الديار المصرية فتقدم بطلماوس لمحاربتهِ فجرت بينهما وقعات قليلة حاز الاخير النصر في جميعها ولما راى عساكر برديكاس عظم المشقات التي تجشموها بلا فائدة خرجوا على قائدهم وقتلوهُ في سرادقهِ واستسلموا لعدوهِ بطلماوس سنة ٣٢١ ق.م وفي ذلك الحين جيءَ بجثة اسكندر من بابل على مركبة علوها ثمانٍ وثلثون قدمًا وعرضها اربع عشرة وطولها اثنتان وعشرون يجرها اربعة وستون فرسًا نادر الوجود وكانت هذه المركبة وجميع الامتعة التي فيها مزينة بالجواهر والمعادن الثمينة ومضمخة بالطيوب فوصلت اولاً الى ممفيس ومنها الى الاسكندرية حيث دفنت جثة الملك بكل اكرام يليق بهِ وبني لهُ بجانب ضريحهِ هيكل بديع ومتقن كان الناس ياتونه من كل فجٍ عميق يقدمون فيهِ الذبائح والقرابين للاله الجديد وسبب مخالفة وصية اسكندر ودفنه بالاسكندرية نبوة شاعت ان المكان الذي يدفن فيهِ يفوق جميع الاقطار في العظمة والثروة فآثر بطلماوس ان يكون النجاح لمدينه عامرة

اصبحت عن قليل عاصمة مملكتهِ

وفُوض الى انتيباتر بعد موت برديكاس امر تدبير المملكة بالنيابة عن اريدايوس وابن اسكندر القاصرين ولما كان هذا القائد شيخًا كان غير صالح لتولي ذلك المنصب الخطير في وقت كانت فيهِ البلاد محاطة بالاخطار من كل جانب فكان الاجدر بالجند والروساء تنصيب فتى لم يحنِ ظهره الكبر ولم يعمِ بصره وبصيرته حب الرياسة والاطماع ومما يدلنا دلالة واضحة على جهل انتيباتر تجهيزه الجنود وارسالها مع انتيغونس لمحاربة ايمونس حاكم كبادوكية وهو اصدق قائد خلفه اسكندر واحسن والٍ صادق الولاء للعائلة الملكية اما انتيباتر فلم يتقلد منصبه اكثر من عامين لانهُ مات سنة ٣١٩ ق٠م بعد تعيينه خليفة لهُ قائدًا اسمهُ بولسبرخون وحرمهِ الرئاسة ابنهُ كساندر فحدثت من جراء ذلك بين الفريقين حروب وفتن كثيرة نأتي على ذكراهما في الفصل الثاني وانما نقول الان بوجه الاختصار ان ايمانوس الذي كان دابهُ حماية الملكين الشرعيين والدفاع عنهما باية وسيلة كانت قاتل انتيغونس زمانًا طويلاً ولقي بشجاعة عظيمة جنوده الجرارة وانتصر عليهِ مرارًا غير انهُ في سنة ٣١٦ ق٠م اخانته رجاله وسلمتهُ حيًا الى انتيغونس عدوه الجديد وصديقهِ القديم الذي

قتلهُ حالاً مع بعض اعوانهِ اما بولسبرخون نائب الملكين فلم يستطع لقاء كساندر في ساحات القتال فغادر مكدونية ولجيءَ الى بلاد بليبونيزيس (الان المورة) واقام فيها مدة الى ان صالح خصمهُ وصادقهُ سنة ٣١٠ وفي ذلك الحين قُتل اسكندر اغس ابن روكسانة مع امه وامرآءِ اخرين وبموتهم انقرضت عائلة فيلبس كما ستعلم في موضعه (١)

اما الان وقد خلا الجو لانتيغونس واستتب لهُ الامر في الديار الاسيوية الواسعة الارجآء فاعلن نفسهُ ملكًا واخذ في الاستعداد لمحاربة ولاة الولايات الآخرين الذين رأوا اطاعتهُ واوجسوا خوفًا منهُ فدعوا أنفسهم ايضًا ملوكًا ونهضوا يدًا واحدة لقتاله واضعاف شوكته ليتسنى لهم الاستبداد باحكام البلاد الخاضعة لهم

وكان لانتيغونس ابن اسمه ديمتريوس الملقب ببوليوكريتس اي الفاتح فهذا الامير الفتى كان جميل الخَلق والخُلْق ذا قدٍ رشيق

(١) لم اذكر في هذا الفصل غير الحوادث التي ترتبت عليها تغييرات عامة اما الحوادث والحروب المحلية مثل اخضاع الثائرين في بلاد اليونان ومحاربة احد الولاة او الملوك للشعوب المجاورة لهُ قصد توسيع نطاق مملكته فمذكورة في الفصل الذي افردتهُ لتاريخ البلاد التي جرت فيها تلك الحوادث او الحروب

وهمة عالية يسعر نار الحروب ويخوض عجاجها بقلب ثابت لا يعرف الجزع فاحبتهُ العساكر جميعها لشجاعتهِ في ساحات الضرب والطعان وكرمهِ في زمان السلام فهو الذي استولى على آثينا وجزيرة قبرص واغار على رودس سنة ٣٠٤ ق.م لان اهلها رفضوا امداده بالسفن الحربية حينما قاتل بطلماوس ومعلوم ان الروديين كانوا شجعانًا يصطلى بنارهم وشهيرين بالتجارة وخبيرين بعلم سلك البحار فاستعدوا لمحاربة اعدائهم استعداد من يرى الحيوة بلا حرية اشدَّ نكالاً من الموت الزؤام والذي يشهد لهم بالجسارة ويثبت اسمهم في مصاف الابطال اقدامهم بشجاعة يقل نظيرها على ردّ هجمات عساكر العدو الجرارة وحرق الآلات الحربية التي كان ديمتريوس يأتي بها لهدم الاسوار لا سيما ما عملوه لابطال ضرر الآلات الكبيرة التي لا تؤثر بها النار وذلك انهم حفروا سردابًا تحت المكان الذي اقيمت فيه الآلات المذكورة فسقطت ولم يستطع المحاصرون رفعها فتأكد ديمتريوس حينئذٍ استحالة التغلب على اولئك الاقوام الشجعان وعقد معهم صلحًا واهبًا لهم جميع الآلات التي احضرها ورحل من جزيرتهم سنة ٣٠٣ ق.م. قيل ان الروديين باعوا تلك الآلات وصرفوا ثمنها لعمل ذلك التمثال الشهير الذي كانت السفن تمر بين

رجليهِ وهي داخلة الى ميناء الجزيرة(١)

ويلوح ان النجاح والانتصار قد ابطرا انتيغونس وحملاهُ على احتقار رفقائـــهِ حتى انهُ لم يكترث لهم ولم يبالِ باتحادهم حاسبًا تلك الممالك الخاضعة لهم غنيمة يمكنهُ الاستيلاء عليها عاجلاً ام آجلاً فخاب املهُ وسقط بكبريائهِ واهمالهِ في مهاوي الذل والفشل واصبح ربحهُ خسارة.فلو اقتدى بفيلبس المكدوني ابي اسكندر وحذا حذوهُ في مناهج السياسة وعلم وجوب زرع بذار الحسد والبغضاء في قلوب اعدائهِ لاستطاع الانتصار عليهم جميعًا وامكنهُ تاسيس مملكة واسعة تدوم ما دامت الحكمة مرافقة الرجال القابضين على زمام احكامها ولكنهُ اطاع اهواءهُ واغضب اولئك الامراء باطماعه الظاهرة واعتدائهِ الدائم فاثاروا عليهِ حربًا عوانًا وفي سنة ٣٠١ ق٠م حدثت بين الفريقين معركة بالقرب من مدينة ابسس في بلاد فرجيا كانت نتيجتها موت انتيغونس واستيلاء سلوقس ملك بابل على بلاده فدعيت مملكته المملكة السورية وكانت تشتمل وقتئذٍ على جميع

(١) هذا التمثال سقط سنة ٢٢٢ ق٠م بزلزلة وبقي مطروحًا في مكانه مدة ثمانيمائة وثمانٍ وتسعين سنة وحينما افتتحت العرب رودس باعتهُ لرجل يهودي كسره وحملهُ على تسعمائة جمل

الاقطـار الاسيوية الى نهر الهند اما الممالك الاخرى فكانت المملكة المكدونية والمملكة المصرية والمملكة الثراكية التي لم تدم مستقلة زمانًا طويلاً لذلك لم نفرد لها فصلاً مخصوصًا

الفصل الثاني

في المملكة المكدونية و بلاد اليونان

من سنة ٣٣٢ الى سنة ١٤٦ ق٠م

(١)

مكدونية

ان اليونانيين القدماء هم اعظم امة اشتهرت في الازمنة القديمة بمحبة الحرية والاستقلال ودليل ذلك الحروب المهولة والمعامع الكثيرة التي جرت بينهم وبين ملوك الفرس سلاطين الارض فانهم لم يروا قط مانعًا لسفك دمائهم وتضحية اولادهم على مذابح القتال فداء الوطن وحريتهِ غيران انقسامهم الدائم والفتن الاهلية قد اضعفتهم واحنت رؤوسهم لنير العبودية فداس فيلبس ارضهم واخضعهم عنوة لاوامر المكدونيين البرابرة وقاد ابنهُ اسكندر فرسانهم وابطالهم الى الديار الاسيوية البعيدة ليؤسس لهُ هناك سلطنة واسعة مشتملة على اكثر ممالك

العالم القديم فباتوا يئنون من ذلهم ويرقبون الفرصة لارجاع ما فقدوه جهلاً

ولما مات اسكندر وانتشر نعيهُ في الآفاق جاهر اليونانيون بالعصيان وجهزوا الجنود وبادروا الى مضيق ثرموبيلي ليستولوا عليهِ قبل ان يجتازه انتيباتر ويدخل البلاد عاثياً فيها فلقوه في ارض تسالية وقاتلوه قتالاً لا يبقي ولا يذر فارتدَّ راجعاً ولجوءُ الى مدينة لاميا (الان زيتونة) واقام بها محصوراً ينتظر مدداً من الاقطار الاسيوية

وعلم ليوناتس بما هو جارٍ في بلاد اليونان فاسرع بجيوشهِ الجرارة لقمع الثائرين وبلغ قرب وصولهِ اليونانيين فرفعوا الحصار وزحفوا لقتالهِ فلقوهُ عند حدود تسالية الشمالية فانتشبت الحرب بينهما وكانت عواناً ومات في ذلك النهار ليوناتس وولت رجالهُ منهزمة تطلب النجاة في الجبال والاراضي المستوعرة

تلك النصرات المتتابعة قد افعمت قلوب اولئك الابطال عابدي الحرية بهجة وسروراً فظنوا ان الزمان قد صفا لهم واعاد اليهم اوقات الهناء ولذة الاستقلال ولكن هيهات ان يدركوا ما تمنوه لان انتيباتر جمع اشتات جيش ليوناتس واتاه

كراتيروس رفيقه بجنود جديدة فاغار على اعدائهِ بالقرب من مدينة كرانون (الان سارليكي) وقهرهم وبعد ان خضعت لهُ جميع الولايات اليونانية وعاملها كما اراد عول ان يزحف الى آثينا ويحاربها فارسل اليهِ الآثينيون سفراء يسترضونهُ ويخابرونهُ بالصلح فاجابهم لاسلام الا بقتل ذمستينوس ودفع غرامة واحتلال جيوش مكدونية ميناء المدينة المدعوة مونخيا (الان فناري) ولما كانت الجنود الآثينية قد انكسرت برًّا وبحرًا رضي الشعب كرهًا بتوقيع تلك العهده

ان ذمستينوس خطيب وزعيم الاحرار كان منفيًّا من آثينا وسبب نفيهِ حسد اعدائهِ لهُ وتحاملهم عليهِ لانهم اتهموه بمواطئة اربالوس والي بابل حينما فرَّ هاربًا من اسكندر فغرموه مقدارًا من الدراهم لم يمكنهُ نقدها فخرج من المدينة وهام على وجههِ في السهول والحزون وهو آسف كئيب متشوق لرؤية مواطنيهِ وان كانوا سبب شقائهِ ومتشوفٌ دائمًا الى اخبار وطنهِ العزيز الا انهُ لما مات ذلك البطل الفاتح ملك الارضين ونهض الآثينيون من رقدة الخضوع وجهزوا تلك الجنود التي لقوا بها انتيباتر في لاميا شجع خطيبهم البليغ واخذ يطوف المدائن والقرى وهو يحث اليونانيين على مساعدة اخوانهم الآثينيين ومحاربة

اعدائهم المكدونيين فاضرم في قلوبهم نار الشجاعة والاقدام وحملهم على قتال انتيباتر كما تقدم القول

وعلم ذمستينوس باهدار دمهِ ففر هاربًا الى جزيرة كالوريا (الان بورو) واختبأ في هيكل اله البحر نبتون فاتاهُ نفرٌ من الجند واراد وا قتلهُ في ذلك المكان المقدس فاستمهلهم ريثما يكتب وصيتهُ وفي الحال اخذ قلمهُ وكان قد حشاهُ سماً زعافًا وطفق يمصهُ جريًا على عادته متى رام الافتكار ثم غطى راسهُ بثوبهِ والعساكر تضحك منهُ وتناديهِ ياجبان ولما شعر بدنو الاجل احتفز ليخرج وهو يقول يانبتون انني اغادر هيكلك حيًا وما اتم كلامهُ الا وارتجفت اعضاؤهُ وسقط على الارض ميتًا فصنع لهُ الاثينيون تمثالاً نقشوا على قاعدته هذه الكلمات ياذمستينوس لو عادلت قوتك بلاغتك لم يكن اليونانيون عبيدًا

قد علمت ان انتيباتر مات سنة ٣١٩ ق٠م وعين خليفة لهُ القائد بولسبرخون فاغضب ذلك ابنهُ كساندر حاكم مكدونية فارسل في الحال يستميل نيكانور قائد الجنود المكدونية المحتلة مونخيا فرضة آثينا ويسالهُ ان يسعى في استرضاء الاثينيين او الاستيلاء على مدينتهم ثم ذهب سرًّا الى آسيا وقابل انتيغونس فامدهُ هذا القائد بالخيل والرجل وبخمس وثلثين

سفينة حربية اقلتهُ وجنودهُ آمنًا سالمًا الى ميناء آثينا

وكان بولسبرخون في اثناء ذلك فاكرًا يبحث عن الوسائل التي يمكنهُ بها تقوية اركان سلطتهِ وقمع كل عدو ومعاند فاصدر منشورًا الى جميع الولايات اليونانية يامر بهِ سكانها ان يبطلوا حكومة الاعيان ويبدلوها بحكومة جمهورية ليوقع بينهم الانقسام والفتن ويصبح قادرًا ان يملك قيادهم بلا عناء فهاج الرعاع في تلك الاقطار وخرجوا على روسائهم واماتوا كثيرين منهم شر ميتة اما اثينا فبقيت حكومتها كما كانت لان نيكانور استولى على برياس وعضد الشرفاء القابضين على زمام الاحكام بوجوده هناك وبلغ بولسبرخون ما جرى فجهز الجنود وارسل ابنهُ اسكندر لقتال نيكانور وسار هو خلفهُ على مهل ليتمتع بلذة النصر من غير ان يذوق مرارة التعب واهوال الحرب

وكان في آثينا قائد شجاع قد اشتهر بالبسالة والتصوف وحب الوطن الا وهو فوكيون الشيخ الذي صان مدينة بزنطيوم من فيلبس ابي اسكندر (انظر صفحة ٤٤) وحاز نصرات عديدة في اوقات مختلفة فهذا الرجل المفضال علم ما وراء تسلط الرعاع من الاضرار لمواطنيه فذهب للقاء اسكندر بن بولسبرخون وقال لهُ اذا استوليت على حصون آثينا فاعمل ما هو لازم لتوطيد

سلطة الاعيان فعلم ذلك الشعب وهاج عليهِ هيجانًا عظيماً حتى لم يمكنهُ البقاء في المدينة ففر هاربًا مع بعض اصدقائهِ ولجئ الى اسكندر فارسلهم هذا الى ابيهِ وسالهُ ان يحسن اليهم اما بولسبرخون فقتل احدهم دينارخوس وهو صديقه وارجعهم الى اثينا لتنظر الحكومة في دعواهم فاصدر الرعاع حكماً باعدامهم وقتلوهم جميعًا سنة ٣١٨ ق٠م

ووصل كساندر الى ميناء اثينا بعد موت فوكيون باربعة ايام فتولى قيادة الجيوش التي هناك وارسل نيكانور بالسفن المجهزة لمحاربة عمارة عدوه فالتقت العمارتان بالقرب من بزنطيوم واقتتلتا فكان النصر اولاً لرجال بولسبرخون غير ان انتيغونس الذي حضر في ذلك الحين لمساعدة نيكانور بدل انتصارهم بالانكسار وقبض على سفنهم العديدة اما كساندر فافتتح اثينا واصلح احكامها واقام سنة ٣١٧ ق٠م صديقهُ ديمتريوس فالروس حاكماً عليها

وكانت اولمبياس ام اسكندر قد غادرت مكدونية وسكنت في بلاد ابيرس فرارًا من انتيباتر عدوها الالد فبها استعان بولسبرخون لتوطيد سلطتهِ واصدر امرًا برجوعها من المنفى وكانت اريديكي امراة اريدايوس الملك تحب كساندر وتتولى

احكام مكدونية بالنيابة عنهُ حين ذهابهِ لقتال عدوهِ في بلاد اليونان فلما علمت بقرب وصول اولمبياس مصحوبة بحفيدها اسكندراغس جمعت الجنود واسرعت لطردها غيران اولمبياس اظهرت في ذلك النهار شجاعة الابطال فتقدمت بين الجيشين وارت العساكر ابن سيدهم المتوفى واخبرتهم ان هذا هو ملكهم الشرعي الوارث بحق سلطنة ابيهِ الواسعة فضجوا جميعهم باصوات السرور واستسلموا لها تاركين اريديكي واريدايوس اسيرين في قبضة يدها فالقتهما في السجن وبعد ان عذبتهما اياماً كثيرة قتلتهما سنة ٣١٧ ق.م واستبدت بالاحكام غيرخاشية عقاباً كأن الزمان قد صفا لها اوكأن القساوة البربرية قدمهدت لها سبل ارتقاء عرش مملكة افتتحها ابنها بحكمته وشجاعة رجاله ولكن كيف يمكنها الهناء وانَّى تامل النجاة وكساندر القادر الذي انتشرت عساكره في البلاد انتشار الجراد قد بادر اليها مسرعاً ليثأ رحبيبتهُ وينتقم من امراة قاسية تود هلاكهُ وعليهِ فهذا القائد النشيط اتى مكدونية بحرًا وحارب اولمبياس واستولى بعد حصار طويل على قلعة بدنا (الان قطرون) حيث تحصنت عدوتهُ فاخذها اسيرة وقتلها سنة٣١٦ ق.م ثم تزوج تسالونيكة اصغر بنات فيلبس ووضع اسكندراغس وامهُ روكسانة في

قلسة امفيبوليس ليامن شرها ويكونا بعيدًا من دسائس ذوي الاطماع والاغراض وبنى مدينة على برزخ بلّيني دعاها كساندريا وهي مدينة بيناكي الحالية وجعلها عاصمة المملكة

وخشي كساندران يثور الشعب وينصب يومًا اسكندراغس او اخاه اركلس النغل فقتلهما في سنة ٣١١ وسنة ٣١٠ ق.م مع روكسانة وكلوبترة اخت اسكندر ذي القرنين واعلن نفسهُ ملكًا سنة ٣٠٦ كما علمت في الفصل الاول من هذا الباب وملك ست سنوات بعد واقعة ابسوس وقضى نحبهُ مخلفًا ابنهُ البكر فيلبس الرابع الذي ملك سنة واحدة فقط ومات وبموتهِ احتدمت نار الشقاق والعداوة بين اخويهِ انتيغونس واسكندر اذ كلٌ منهما كان راغبًا في ارتقاء سرير الملك فقتل انتيغونس امهُ تسالونيكة لانها كانت جانحة لاخيهِ الاصغر وفرَّ هاربًا الى لزيماخوس حميهِ ملك ثراكة فلم يساعده لزيماخوس لانهُ كان وقتئذٍ في محاربة بعض القبائل الساكنة بالقرب من نهر الدانوب وخشي اسكندر بأس ذينك الملكين فاستجار بدمتريوس بن انتيغونس الذي كان مالكًا على بعض مدن يونانية استولى عليها قبل وبعد واقعه ابسوس فاتاه ذلك الامير على جناح السرعة وعوضًا عن ان ياخذ بيده جرعه بسيف

خيانتهِ كاس الحمام وقيل ان اسكندر اراد ان يفتك بهِ اغتيالاً فقتلهُ ديمتريوس انتقامًا منهُ وتبوأَ عرش مكدونية سنة ٢٩٤ ق.م واخذ في الاستعداد لمقاتلة الملوك المجاورة وتوسيع نطاق مملكته اقتداء بابيهِ انتيغونس فاهاج استعداده هذا خوف بيرس ملك ابيرس ولزيماخوس ملك ثراكة ونهضا في سنة ٢٨٧ لمحاربتهِ فاتاه الاول من الجهة الشمالية والاخر من الجهة الجنوبية ولما كان ديمتريوس ظالمًا فخورًا لم يكن محبوبًا من احد وعليهِ حينما التقى ببيرس جاهر جيشهُ بالعصيان وانضم لعساكر عدوّه فتنكر ديمتروس وفرَّ هاربًا الى كساندريا ومنها الى بلاد اليونان وكانت امرأتهُ قد سئمت الحيوة من طباعه وفعاله فاخذت سمًّا وماتت اما هو فذهب الى آسيا ببعض فرق من الجنود فاعترضهُ سلوقس واعتقلهُ في بلاد خرسونزيس السورية الى ان قُبض عام ٢٨٣ ق.م في السنة الثالثة من اسره والسادسة والخمسين من عمره وجملة القول انهُ كان حديد الطبع شجاعًا فطينًا رُبي في حجر الاطماع والحروب فشب جبارًا عظيمًا قضى عمره في الغارات وساحات القتال وكان لهُ اربعة بنين اسم اكبرهم انتيغونس غنوطلس وهو شهير بمحبته لابيهِ حتى انهُ اراد ان يفديهُ بنفسهِ ويحتمل عذاب وذل الاسر عوضًا عنهُ الان

سلوفس لم يرضَ بذلك

وباتت البلاد المكدونية بعد حرب ديمتريوس عرضة لرزايا الحروب وبلايا الانقسام لانهُ في مدة بضعة اعوام تغيرت احكامها وحكامها مرارًا وذلك ان بيرّس ولزيماخوس بعد نصرتهما اقتسما بينهما المملكة واضاف كلٌّ منهما قسمهُ الى مملكتهِ الاصلية غير ان الاهلين لاسيما الجنود ابوا الانقياد لامير غريب واحبوا الخضوع للزيماخوس قائدهم القديم الذي خاض مع اسكندر عجاج الحروب المهولة واعلى منار مجدهم في سائر الآفاق فعصوا اوامر بيرّس وطردوه من ديارهم بعد ملك سبعة اشهر ودام ملك لزيماخوس نحو خمس سنوات لان امرائهُ ارسناوي بنة بطلماوس صوتر كانت حاقدة على اغاتوكلس ابن ضرتها فاغرت اباه بقتله تاهمة اياه تهماً كاذبة فاثار فعلها هذا القبيح بغض زوجها في قلوب رعاياه فنفروا منهُ وخرجوا عليهِ

وكانت لزاندرا ارملة اغاتوكلس قد استجارت بسلوفس فاجارها وجمع عساكره وسار بهم لقتال لزيماخوس فجرت بين الفريقين سنة ٢٨١ في سهل كورس معركة انجلت عن قتل لزيماخوس وتشتيت شمل جنوده وفي سنة ٢٨٠ قتل بطلماوس كيرانوس بن بطلماوس ملك مصر سلوفسَ وتبوأَ عرش البلاد

ثم قتل هذا الاميرَ الغاليون الاولى اغاروا علي مكدونية وتوالى بعدهُ على سرير الملك امراء آخرون ملكوا اياماً قليلة او بضعة اشهر كما سترى في جدول ملوك المكدونيين المدروجة فيهِ اسماؤهم

تلك الحوادث والحروب التي داهمت البلاد قد القت الانقسام بين الرؤساء وسببت ضعفهم ممهدة لانتيغونس غنوطاس بن ديمتريوس سبل ارتقاء عرش المملكة لانهُ كان حاكماً على بعض مدن في اقليم البليبونزيس فلم يجد اذ ذاك مانعاً من التقدم على مهل وافتتاح ديار هو احق بملكها من غيره اذا كانت السلطة على الناس بالوراثة الشرعية وملك انتيغونس اربعاً واربعين سنة حارب في اوائلها بيرس حين عودتهِ من ايطاليا وصرف باقي عمره في موالاة ملكي مصر وسوريا والسعي في اخضاع المدائن اليونانية

وخلف انتيغونس ابنهُ ديمتريوس الثاني الذي ملك عشرة اعوام حارب في اثنائها الأتوليين والأبيريين وسكان الاقاليم الشمالية ومات سنة ٢٣٦ ق.م مخلفاً طفلاً اسمهُ فيلبس اقام وصياً لهُ اخاه انتيغونس الملقب بدوزون فتولى هذا الامير الاحكام بادئ بدء بالنيابة عن ابن اخيه ولما استتب لهُ الامر

اعلن نفسه ملكًا

وكان انتيغونس اميرًا عادلاً وحاكماً حكيماً محبوبًا من رعاياه ومرهوب الجانب في الاقطار المجاورة لبلاده وفي ايامهِ تحكمت عرى الاتحاد اليوناني الوطني المسمى بالاتحاد الاخائي الاان انقسام اليونانيين اوقعهم في ارتباكات عظيمة وسهل للملك مكدونية اذلالهم في وقعة سلازيا وفي سنة ٢٢٠ مات انتيغونس وخلفه ابن فيلبس المعروف بفيلبس الخامس

واشتهر هذا الامير في ابتداء ملكه بالشجاعة والحكمة والفطنة فاصلح احوال بلاده ووسع نطاق مملكته . غير ان تلك الصفات الحسنة التي امتاز بها تبدلت بعد ذلك بالقساوة والجهل فانهُ قتل صديقهُ اراتوس قائد الاخائيين وعاهد انيبال القرطجني عدوّ رومية . فاغضب بتلك المعاهدة الشعب الروماني الذي اثار عليهِ حربًا عوانًا دامت عدة سنوات ولم تنتهِ الا بانتصار القائد فلامينيوس سنة ١٦٧ في واقعة كينوس كيفالس (اسم رابيتين في بلاد تساليا) على الجيوش المكدونية فعقد المتحاربون صلحًا هذه شروطه (١)

اولاً : يكون جميع الساكنين في اوربا ولآسيا احرارًا مستقلين

(١) انظر تاريخ الرومانيين الباب الخامس الفصل الاول

ثانيًا : يخلي فيلبس قبل اوان الالعاب الكورنثية كل المدائن اليونانية التي لهُ فيها جنود

ثالثًا : يسلم الى الرومانيين كل سفنهِ الكبيرة ما خلا خمسًا

رابعًا : لا يكون لهُ اكثر من خمسة الاف جندي ولا يسمح لهُ باقتناء افيال ولا اثارة حرب خارج مكدونية الا باذن الشعب الروماني

(هكذا روى لفيوس وعهدة ذلك على الراوي)

خامسًا : ينقد الرومانيين الف وزنة عاجلاً والنصف الاخر بمدى عشر سنوات

سادسًا : يرسل ابنهُ الاصغر ديمتريوس الى رومية ليقيم فيها ويكون لدى الرومانيين بمثابة رهينة او ضمانة تضمن لهم صدق ملك مكدونية ومحافظتهُ على المعاهدة التي أمضاها

وكان ديمتريوس رجلاً عاقلاً وفطينا فاحبهُ الرومانيون ورضوا بارجاعهِ الى بلاده واظن انهم وعدوه بتمليكهِ على مكدونية بعد موت ابيهِ فاصبح لهم صديقًا صدوقًا يثني عليهم سرًّا وجهرًا وكان اخوه الاكبر برسيوس يبغضهُ لحب الشعب لهُ وخوفهِ ان يسلبهُ الملك لاسيما وقد اشتهر وقتئذٍ ان برسيوس نغل او ولد غريب اتت بهِ امراة الملك خفية بعد ما ادعت

الحبل وهي عاقر فاتخذ هذا الامير الظالم حب اخيه للرومانيين ذريعة لاهلاكهِ فوشى بهِ الى ابيهِ وتهمهُ بمواطئة الاعدآء على افتتاح البلاد ولما كان فيلبس قد نقض المعاهدة باعمالهِ المخالفة الشروط خاف وصدّق كل ما قيل لهُ وامر بقتل ابنهِ ديمتريوس الا انهُ عرف بعد ذلك صدقهُ وبرآءتهُ فندم على ما فعل ومات سنة ١٧٨ حزينًا كئيبًا وخلفهُ برسيوس وهو رجل ظالم عاتٍ يحب الاستبداد بالاحكام والفتك بمن يعصي لهُ امرًا

وادرك هذا الامير ان افعالهُ وافعال ابيهِ السيئة ستدعو الرومانيين الى محاربتهِ فاخذ في الاستعداد للقتال وركوب متن الاخطار والاهوال فانتشبت الحرب بين الفريقين سنة ١٧١ ودامت اربع سنوات ففي السنة الاولى لم يحدث امرٌ ذو بال لان القائد الروماني ليسينيوس بعد ان انكسرت فرسانهُ في تساليا انتصر انتصارًا لايذكر وهكذا في السنة الثانية والثالثة

ومن المؤكد ان برسيوس كان قادرًا ان يطيل الحرب وينتصر على اعدائهِ لو كان حكيماً فطيناً غير ان بخلهُ الذميم حرمهُ مساعدة ايمانوس ملك برغامس وحمل عشرين الف جندي غالي ان يتركوهُ ويذهبون لانهُ رفض ان ينقدهم الاجرة التي اتفقوا عليها وكان الرومانيون في السنة الرابعة قد زادوا جنودهم وعززوا

قوتهم ابتغاء انهـــاء حرب طويلة اورثتهم الملل فقهر القنصل اميليوس بولص ملك مكدونية وجيوشهُ في معركة جرت بيدنا في ٢٢ حزيران سنة ١٦٧ والجأَه الى الهرب الى جزيرة ساموثراس فقُبض عليهِ هناك واتي بهِ الى ايطاليا ليمشي امام الظافر حين احتفالهِ بنصرته قيل انهُ امتنع في رومية عن الاكل مدة فمات جوعًا وقيل ان الحراس الموكول اليهم امرهُ منعوه النوم فقضى

وبعد ما قُهر برسيوس قبض الرومانيون على زمام احكام مكدونية وجعلوها سنة ١٤٨ ولاية رومانية

بيان اسماء ملوك مكدونية ومدة ملك كلٍ منهم

اسم الملك	مدة ملكهِ		اوان ملكهِ		اوان موتهِ	
	سنة	شهر	سنة	ق٠م	سنة	ق٠م
كارانس	..	..	..	..	..	..
برديكاس الاول	..	..	..	.	..	..
ارغاوس	..	..	..	..	..	..
فيلبس الاول	..	..	..	..	..	..

اسم الملك	مدة ملكه سنة	شهر	اوان ملكه سنة	ق.م	اوان موته سنة	ق.م
ابروبس	..	..	..	..	..	..
الكاتاس	..	..	..	..	..	..
امينتاس الاول	..	..	٥٤٠	" "	٥٠٠	" "
اسكندر الاول	..	..	٥٠٠	" "	٤٥٤	" "
برديكاس الثاني	..	..	٤٥٤	" "	٤١٣	" "
ارخلاوس	١٤	"	٤١٣	" "	٣٩٩	" "
اورستس وارو بس	٥	"	٣٩٩	" "	٣٩٤	" "
بوزانياس	١	"	٣٩٤	" "	٣٩٣	" "
امينتاس الثاني	٢٤	"	٣٩٣	" "	٣٦٩	" "
اسكندر الثاني	.٣	"	٣٦٩	" "	٣٦٧	" "
بطلماوس الوريتيس	.٣	"	٣٦٧	" "	٣٦٤	" "
برديكاس الثالث	.٥	"	٣٦٤	" "	٣٥٩	" "
فيلبس الثاني	٢٣	"	٣٥٩	" "	٣٣٦	" "
اسكندر الثالث الملقب بذي القرنين	١٣	"	٣٣٦	" "	٣٢٣	" "
فيلبس الثالث المسمى اريدايوس	.٧	"	٣٢٣	" "	٣١٦	" "
اولمبياس	.١	"	٣١٦	" "	٣١٥	" "
كساندر	١٩	"	٣١٥	" "	٢٩٦	" "
فيلبس الرابع	.١	"	٢٩٦	"	٢٩٥	" "
ديمتر يوس بوليوكريتس	.٧	"	٢٩٤	" "	٢٨٧	" "
بيرّس		٧	٢٨٧	" "	٢٨٦	" "

اسم الملك	مدة ملكهِ سنة	مدة ملكهِ شهر	اوان ملكهِ سنة	اوان ملكهِ ق٠م	اوان موتهِ سنة	اوان موتهِ ق٠م
لزيماخوس	٠٥	٦	٢٨٦	" "	٢٨٠	" "
بطلماوس كارانس						
ملياغر						
انتيباتر						
سوسثينس	٠٢	"	٢٨٠	" "	٢٧٧	" "
بطلماوس						
اسكندر						
پيرس ايضًا						
انتيغونس غنوطاس	٤٤	"	٢٨٢	" "	٢٣٩	" "
ديمتريوس الثاني	١٠	"	٢٣٩	" "	٢٢٩	" "
انتيغونس دوزون	٠٩	"	٢٢٩	" "	٢٢٠	" "
فيلبس الخامس	٤٢	"	٢٢٠	" "	١٧٨	" "
پرسيوس	١١	"	١٧٨	" "	١٦٧	" "

(١)

بلاد اليونان

ان جيوش البرابرة الغاليين الذين غشوا الديار المكدونية وعثوا فيها مفسدين زحفوا سنة ٢٨٠ والرعب يتقدمهم لنهب الولايات اليونانية وتدمير من تستفزهُ الحمية وتدفعهُ البسالة

والباس للقائم في ساحات القتال دفاعًا عن الوطن العزيز وصيانة للحرية والتمدن من مخالب التوحش والخراب

تلك الجماهير المجمهرة البالغ عددها حسب رواية المؤرخين نحو مائتي الف جندي قصدت مضيق ثرموبيلي ابواب البلاد لتلجه وتنتشر في الاقاليم اليونانية انتشار الجراد غير ان الخوف جدد في قلوب اليونانيين الشجاعة التي اتصفوا بها ايام كانت جمهورياتهم زاهرة زاهية باثمار المعارف وحب الاستقلال فجهزوا الجنود وبادروا الى ذلك المضيق فدفعوهم عنهُ بعد حروب ووقعات كست الارض من دماء الابطال ثوب الارجوان فلوى اولئك البرابرة العنان ودخلوا البلاد من المكان الذي اجتازهُ كزركزس ملك الفرس قبلاً واسرعوا الى هيكل دلفي ليغزوا اراضيهُ وينهبوا الاموال المدخرة فيهِ فاوحى اذ ذاك الاله الى كهنتهِ أن اطمئنوا لاني سانتقم بيدي من هولاء الاقوام الطاغين فاثار عليهم لذلك جميع العناصر وجعل الارض تفتح فاها وتبتلعهم والجبال تهتز وترميهم من قننها بالصخور والحجارة وصبَّ على الاولى فازوا منهم بالسلامة نارًا حرقتهم وتركتهم رمادًا تذريهِ الرياح . هذا ما رواه اليونانيون وهو كما لا يخفى اكذوبة نسجتها يد الجهل وزينتها قريحة الشعراء المفلقين

والمظنون ان الاهلين سكان تلك الجبال قدروا لحسن مراكزهم الطبيعية ان يدحروهم ويهلكوهم بالسيف والبرد والجوع

قد غُلب الغاليون واصبحت جنودهم بعد العز والانتصار هباء منثورًا وزال بزوالهم عدوّ اليونانيين الغريب فهل نظفر هذه الامة بالراحة والسلام وتتوق الى السكون والاتحاد لتذوق لذة التمدن والفلاح ذلك امرٌ اخالهُ مستحيلاً لانهُ كيف يتسنى لها التمتع بالسلام ونار الشقاق في قلوب رجالها مشبوبة حتى كأن الدهر ينوي حربها فاذا قضى خصم اقام بديلاً. والحوادث على كل حال خير دليل على صحة هذا القول

بيرّس: هو على زعمهم سليل اخلّس احد الابطال المشهورين الذين حاصروا تروادة كان ابوهُ ملكًا على ابيرس فحاربهُ كساندر ملك مكدونية وقتلهُ وكان عمر بيرّس وقتئذٍ سنتين فحملهُ اصدقاء ابيهِ واتوا بهِ الى غلوكياس ملك احدى القبائل الايلّرية فحماه هذا الملك من غضب كساندر وبعد عشرة اعوام زحف بجيوشهِ الى ابيرس وولاه عليها واقام لهُ اوصياء لانهُ لم يكن قد تجاوز بعد السنة الثانية عشرة من عمره

وكان كساندر يرقب الاحوال بعين بصيرة وعقل خبير فحينما توطدت سلطتهُ على البلاد المكدونية والديار المجاورة لها

اغرى الابيريين بخلع ملكهم الفتى فثاروا عليهِ وطردوهُ من تلك الارجاء بعد رجوعهِ اليها بخمسة اعوام فهرب بيرس عاجلاً ولجئَ الى صهره ديمتريوس بن انتيغونس ورافقهُ في ذهابهِ وايابهِ وشهد معهُ واقعة ابسس سنة ٣٠١ ق.م ولقي الفرسان في ذلك النهار وحاز بين الابطال لشجاعتهِ شهرة عظيمة

ويلوح انهُ كان اولاً صادق الولاء لصهره ديمتريوس فلم يرد ان يتركهُ والمصائب قد احاطت بهِ وجرعته من رحيقها كاساً دهاقاً بل عزم ان يشاركه في اتراحه كما شاركه في افراحه فتبعهُ حيثما ذهب واينما حلّ وقدم نفسهُ عنهُ رهينة لبطلماوس صاحب مصر. وهناك احبتهُ برينيكي امراة الملك وزوجتهُ بابنتها انتيغوني من رجلها الاول وامده بطلماوس باسطول منيع وجنود جرارة فذهب الى ابيرس وقتل من خلفهُ وتبوأ عرش المملكة مرة ثانية سنة ٢٩٥ ق.م ولما كان هذا الامير قد ربي في مهد البلايا ورضع لبان المشقات ونظر حروباً كثيرة وانقلابات سياسية نشأ فارساً مغواراً وقائداً شجاعاً وحاكماً حكيماً فاحبتهُ الجنود الابيرية لجسارتهِ واقدامهِ وانقاد لـهُ الشعب طوعاً لسماحتهِ وبشاشتهِ وكرم اخلاقه وكان مع ذلك كلهِ طمعاً فخوراً يود الاقتداء باسكندر الكبير وتوسيع نطاق مملكتهِ غير باحث

عما دون مطالبه ورغائبه من الاخطار والاهوال ولقد نازل المكدونيين وملوكهم مرارًا وانتصر عليهم غيران لزيماخوس ملك ثراكة طرده من البلاد واضافها الى مملكتهِ كما علمت وفي سنة ٢٨٠ اغار على الرومانيين في ايطاليا انتصارًا لليونانيين سكان مدينة ترنتوم فجرت بين الفريقين حروب مهولة وشهيرة في الازمنة القديمة قد أتيت على ذكرها بالتفصيل في تاريخ الرومانيين فليطالعها في موضعها[1] من رام الاطلاع عليها ولما عاد الى بلادهِ من الاقطار الايطالية مقهورًا ذليلاً لم يعد ليتمتع بلذة الراحة والسلام بل ليثير حروبًا وفتنًا جديدة وبعد ان حارب المكدونيين والسبارطيين زحف لحصار مدينة ارغوس فرمتهُ امراة من اعلى السور بحجر ومات عام ٢٧٢ في السنة السادسة والاربعين من عمره والثالثة والعشرين من ملكه ولا مشاحَّة انهُ كان اشجع بطل ظهر في عصرهِ ومن احسن الرجال الذين ملكوا في ذلك الاوان وقد سئل انيبال القرطجني مرة عن القواد المشهورين ففضلهُ على نفسهِ وقيل انهُ فضلهُ على اسكندر ايضًا

الاتحاد الاخائي — نسبة الى اخائية وهي القسم الشمالي

---

(١) أنظر تاريخ الرومانيين الباب الثالث الفصل الثالث

من المورة يجدها شمالاً خليج كورنثية والبحر وجنوبًا أليس واركاديا وغربًا البحر وشرقًا اقليم سيكيونية وهي اراضي ضيقة ممتدة من الجبال الى البحر نظير اراضي فينيقية في سوريا واهلها اتوا في الزمان القديم من تساليا الى المورة وتغلبوا على سكانها الاصليين وبقوا خاملي الذكر راضين بحالتهم الى ان تجزأت مملكة اسكندر وتوسموا الضعف في خلفائهِ فهبوا من رقدة الاهمال والخمول وسعوا في الاتحاد ليتسنى لهم ولليونانيين كافة الاستقلال والحرية وحبذا ذلك المسعى لو صادف نجاحًا تامًا ولم يوقع المتمسكين بعروتهِ في اضطرابات عظيمة وحروب مهولة

ان مدينتي آثينا وسبرطا كانتا رئيستي الولايات اليونانية وحصنها الوحيد لدى النوازل الجلى كيف لا وهما اللتان فدتا مرارًا حرية تلك الامة الشهيرة بدماء بنيهما واعلتا منار مجدها بذكاء وشجاعة رجالها العظام غير ان تباين سكانها في المشارب والطباع ونزاعها الدائم اورثاها الضعف والضعة فذلتا وسقطتا تحت نير سلطة الغرباء

تلك الانقلابات السياسية جارية ومدائن اخائية الصغيرة متحابة ومتضامنة لا تهمها الحوادث الخارجية ولا تعبأ بغير اصلاح

احوالها الداخلية وما زالت متبعة هذه الخطة حتى حاربها فيلبس وابنهُ واخرجاها من عزلتها فباتت تئن من جور الغرباء وتحن الى الاستقلال ذاكرة ايامها الماضية ايام كانت متمتعة بحريتها لا تعرف سلطة سوى سلطة شرائعها وعوائدها الخصوصية . ولما توالت الحروب والفتن على المملكة المكدونية واصبحت من جرائها واهية القوى بادر الاخائيون الى الاتحاد وخلّص قائدهم اراتوس النشيط مدينة سكيونة الكبيرة من ظلم الخارجي القابض على زمام احكامها فتحكمت اذ ذاك عرى اتفاقهم واصبحوا لاتحاد هذه المدينة قادرين على الكر والكفاح

وكانت غاية الاتحاد الاخائي جعل الولايات اليونانية المختلفة جمهورية واحدة او جمهوريات عديدة خاضعة لشريعة واحدة وترتيب واحد لا تُفضَّل احداها على الاخرى مهما كانت غنية وقادرة . ذلك ما ارتآه الاخائيون وسعى قائدهم اراتوس في تحقيقهِ فتسنى لهُ معاهدة مدن كثيرة حتى ان آثينا طردت العساكر المكدونية المحتلة حصونها ودالفت الاقوام المتحدين

ومما يجمل ذكره ويشهد لاراتوس بالجود والشجاعة والاقدام استيلاؤه على مدينة كورنثوس وتجهيزه من مالهِ الخاص العساكر اللازمة لافتتاح حصنها الحصين فزحف الى

المدينة المذكورة باربعمائة رجل في ليلة حالكة الاديم وارتقى السور مع مائة شخص فقط وانقض على الحراس بغتة فقتل بعضهم وشتت شمل الباقين وبينما كان ماشياً الى القلعة لقي اربعة حراس حاملين مصابيح فاوعز الى اعوانهِ ان يهجموا عليهم ففعلوا وقتلوا ثلثة منهم وفرّ الرابع هارباً يذيع الخبر وينبه رفقاءه ليكونوا على حذر ويقتلوا رجالاً راموا قتالهم والفتك بهم اغتيالاً تحت جنح الظلام الحالك فهاجت الجنود وماجت الاسوار والقلعة باقدام المحاربين ورنّ صدر ذلك الليل البهيم باصوات الابطال وصليل السلاح

وبقي الثلاثمائة رجل مختبئين بالغار الذي تركهم فيهِ اراتوس ينتظرون دليلاً يقودهم الى ساحة القتال لانهم كانوا يسمعون اصوات العساكر ولا يعلمون اين هم لسبب رجع الصدى في ذلك المكان المستوعر وبينما هم جالسون مرّت بهم فرقة مكدونية مسرعة لاعانة حراس القلعة فلم ترهم ولكنهم راوها وانقضوا عليها انقضاض الصواعق فجندلوا بعض رجالها وشتتوا شمل الباقين وفي تلك الساعة اتاهم الدليل الذي ارسلهُ اراتوس ليقودهم فتبعوهُ ولما اجتمعوا برفقائهم تقدموا جميعاً وهجموا على الاعداء هجمة الرئبال فدحروهم واستولوا على الحصون وفي

الغد جمع اراتوس الكورنثيين واعطاهم مفاتيح المدينة التي كانت بيد المكدونيين منذ ايام فيلبس فسروا جدًّا واظهارًا لما خالج قلوبهم من حاسات الشكر رحبوا بالاخائيين وحالفوهم ولو اصاخ اليونانيون كافة لصوت اراتوس ومواطنيهِ لعاشوا رغدًا ونجوا من الاحن و بلايا الحروب والاستعباد ولكن الاطماع والجهل هي داء الشعوب في كل آن ومكان والانقسام لابد منهُ اذا لم يكن زمام الامة بيد رئيس قادر حازم نشيط وعليهِ فاليونانيون لم يعرفوا قط لذة الاتحاد ما هي بل عاشوا منذ اتيح لهم الوجود في نزاع دائم وقتال مستمرّ فصادف الاخائيون طالبو الوفاق صعوبات عظيمة وحاربوا مرارًا السبارطيين والايتوليين سكان الاراضي الواقعة تجاه اخائيه والفاصل بينهما خليج كورنثوس

واشهر هذه الحروب واقعة سلازيا التي حدثت سنة ٢٢١ ق.م وسببها حب الرئاسة لان كلاً من اراتس وكليومنس ملك سبارطا كان راغبًا ان يتولى قيادة جيوش المدائن المتحدة فانتشب القتال بينهما وجرت لذلك وقعات كثيرة كان النصر في جميعها لكليومنس ولما راى اراتس فشلهُ وضعفهُ استنجد بانتيغونس ملك مكدونية فبادر هذا الملك الى شبه جزيرة المورة وحارب كليومنس في مدينه سلازيا المذكورة وانتصر عليهِ

انتصارًا مبينًا واحتلت جنوده قلعة كورنثوس واعلن نفسهُ قائد الجيوش الاخائية فذل اليونانيون وخضعوا للمكدونيين بعد ان لاح لهم بريق الاماني واوشكوا ان يتملوا الاستقلال والحرية ويعيشوا تحت كنفها عيشة راضية

وكان في اخائية رجل زاهد اسمهُ فيلوبيمن من مدينة ميغالوبوليس قد اشتهر بشجاعتهِ وحكمتهِ ونال في واقعة سلازيا فخرًا عظيماً لانهُ لم يبالِ بالابطال والفرسان المحيطة بهِ من كل جانب بل خاض عجاج الحرب كالرئبال وعاد من ساحتها وقد دوخ الاعداء وذلّل مطايا الانتصار وحدث ان انتيغونس ملك مكدونية لام في ذلك النهار قائد الفرسان على هجوم رجالهِ قبل الاوان فقال لهُ القائد معتذرًا انني غير ملوم فقد ارتكب هذا الخطأ فتى من ميغالوبوليس اسمهُ فيلوبيمن اجابهُ الملك على الفور لا ريب ان هذا الفتى قد سلك في ما عملهُ سلوك القواد العظام اما انت ايها القائد فقد سلكت سلوك الاحداث

هذا هو الرجل الباسل المفضال الذي اختارهُ الآخائيون ليخلف ارانوس في الرئاسة ويتولى قيادة جيوشهم فصرف همهُ في تحسين احوالهم وتحكيم عرى اتحادهم وفي سنة ٢٠٦ ق٠م زحف برجالهِ لقتال ماخانيداس الخارجي القابض ظلمًا على زمام

احكام لكديمونية والجاهد اذ ذاك في الاستيلاء على جميع بلاد المورة (بيلوبونزيس) فحاربهُ وقتلهُ وشتتت شمل عساكره في تلك البطاح

وما كان اللكديمونيون لينجوا بموت ماخانيداس من ظلم حكامهم الطاغين وقساوة رؤسائهم العتاة لان نار البسالة والحرية قد انطفأت في قلوب اولئك الاقوام واصبحوا خاملين كأنهم ليسوا سلالة السبارطيين الشجعان فذلوا واحتملوا ما اتاه ولاتهم من المنكرات احتمال اجدادهم الاهوال قديمًا في ساحات الحروب دفاعًا عن الاوطان وصيانة للاستقلال .وكان نابيس الذي ملك عليهم وقتئذٍ وحشًا ضاريًا لاشفقة لهُ الا على الاموال فاذلهم وعذبهم عذابًا اليمًا واخترع آلة متحركة جعلها على هيئة امراتهِ وملأ ذراعيها وصدرها بمسامير رفيعة ذات رؤوس محدَّدة يحجبها عن الابصار ثوب فاخر تلبسهُ فاذا رفض احد السبارطيين لفقره اولاسباب اخرى ان ينقده الدراهم التي يفرضها عليهِ كان يقول لهُ هذه العبارة «من الممكن انني غير قادر على اقناعك ولكنني آمل ان امرأتي نكون اقدر مني» وفي الحال كان ياتي بالآلة ويوقفها امام الرجل فتضمهُ بين ذراعيها وتؤلمهُ ولاتزال قابضة عليهِ ودمهُ سائل حتى يموت او ينقده

الغرامة . ويظهر ان نابيس قد اعتدى على الاخائيين فاتاه فيلوبومين بجيوشهِ كالبرق الخاطف وقهره فارتد راجعًا الى سبارطا ولما دخلها خرج عليهِ الوطنيون وقتلوه وحالفوا الاخائيين سنة ١٩١ ق . م وكان اليونانيون قد تخلصوا من ربقة الخضوع لملك مكدونية على اثر الحرب الرومانية وانتصار القنصل فلامنيوس سنة ٢٩٧ وغدوا احرارًا مستقلين الا ان تلك الحرية كانت وهمية لان الرومانيين قد احتلوا ثلاث مدائن حصينة محتجين انهم يقصدون بوجود عساكرهم فيها منع الفتن والانقسام والصحيح للاستيلاء على البلاد متى راوا الوقت مناسبًا

وبعد ان اخضعوا اتوليا وغيرها زحفت عساكرهم سنة ١٤٦ الى خليج كورنثوس وحاربت الآخائيين وقهرتهم وجعلت جميع الاقاليم اليونانية ولاية رومانية ودعتها اخائية

الفصل الاول

في مملكة سوريا

ان المملكة السورية هي اكبر الممالك التي انفصلت عن الدولة المكدونية وموسسها سلوقس الاول الملقب بنيكاتور اي الظافر وهو احد قواد اسكندر الذين اقتسموا بينهم املاك سيدهم

البطل واثاروا لاطماعهم فتنًا وحروبا امتد لسان لهيبها الى جميع الاقطار . ولقد اجمع مورخو كل الامم ما خلا الكلدانيين ان سنة ٣١٢ ق م هي تاريخ ابتداء هذه المملكة المدعوة بالسلوقية نسبة الى سلوقس ملكها الاول الذي بعد ان تولى احكام بابل بضع سنوات وفرَّ هاربًا من انتيغونس عاد اليها في ذلك العام بالنصر والاقبال . ولم يزل هذا الامير في كل غزواتهِ وغاراتهِ مغالبًا غالبًا حتى قهر مع لزيماخوس صاحب ثراكة انتيغونس في واقعة ابسس واستولى على جميع املاكهِ في الشرق فاصبحت مملكته حينئذٍ كبيرة جدًا تشتمل على سائر الاقاليم الاسيويه التي افتتحها المكدونيون

ومن اخباره انهُ تزوج وهو طاعن في السن فتاة بديعة الحسن والجمال هي ستراتونيكي بنْة ديمتريوس بن انتيغونس فاحبها واكرمها وجعل لها المقام الاول بين نسائهِ واصفيائهِ . ونظر ابنهُ انطيوخس الى محياها الباهر وقدها الفتان فعلق بها واصبح عشقها لهُ شغلاً شاغلاً واذ كان لا يجسر على اظهار هواه وبث شكواه امرضهُ الحب المبرّح واضناه الكتمان فحار الاطباء النطاسيون في امره ولم يعرف داءهُ القاتل سوى طبيب بارع اسمهُ ارزستراتس الاسكدري فهذا الرجل الحاذق رأى ان

العرق البارد كان يكلل وجهه وعلته تزداد في كل مرة كانت ربيبتهُ ستراتونيكي تعوده فعلم اذ ذاك ان داء عليله الهيام وما دواؤهُ الشافي سوى الوصال وفي الحال ذهب الى سلوقس وخاطبهُ قائلاً ان مرض ابنك الغرام ولا مطمع لهُ في الوصال فالمرأة التي يحبها لا تُنال وزوجها لا يطلقها ابداً نعم لا يطلقها اذ المرأة المشار اليها هي زوجتي ولا يمكنني مفارقتها

— فسكت سلوقس برهة ثم اخذ يسالهُ ويلح عليهِ ان يشفق من رجل في ريعان شبابه وينيلهُ ما يبتغيه

— اجابهُ ذلك الطبيب الحكيم لكي تدرك ايها الملك صعوبة ما انت راغبٌ فيهِ افتكر ان ابنك يحب امراتك ستراتونيكي فهل اطلقها لتخلصهُ من الموت

— قال لهُ الملك نعم وياليت الامر كذلك

— فتهلل حينئذٍ وجهُ ارازستراتس واجابهُ على الفور انت وحدك طبيب ابنك القادر على شفائه وقد علمت داءهُ فبادر اليهِ بالعلاج

وكان الملك شديد الحب لابنهِ انطيوخس فطلق امراته ستراتونيكي وزفها اليهِ سنة ٢٩٣ ق.م فبرئ ذلك الفتى من علتهِ حالاً وعاودتهُ القوة والعافية وقد ذكر المورخون اليونانيون

هذا الحادث واطنبوا في مدح سلوقس حتى انهم حسبوا ما اتاهُ نصرة تعدّ اعظم النصرات التي نالها في حياتهِ

وبنى سلوقس سنة ٣٠٠ ق·م مدينة كبيرة دعاها انطاكية تذكاراً لابيهِ انطيوخس وجعلها بعد ذلك عاصمة مملكتهِ وهي واقعة على ضفة نهر اورونتس (الان العاصي) في وادٍ جميل جدّاً طولهُ عشرة اميال وعرضهُ خمسة او ستة ويبعد عشرين ميلاً عن البحر وتكتنفهُ شمالاً وغرباً جبال امانوس (الان الماطاغ) وجنوباً وشرقاً جبال كاسيوس (الان جبل الاقرع) وآثار هذه المدينة باقية الى الان بالقرب من انطاكية الحالية قيل انهُ حينما شرع في بنائها ذبح حسب عوائد البرابرة ابنة عذراء لتكون لها إلهة واقية

وكان سلوقس راغباً في الاستيلاء على مكدونية كي يوسع بها نطاق مملكتهِ ويمكنهُ ان يصرف باقي عمره في وطنهِ العزيز فتذرع باسباب طفيفة لمعالنةِ لزيماخوس الحرب وسوّق جنودهِ الجرارة الى ساحات الضرب والطعان فالتقى الجيشان سنة ٢٨٠ ق·م بسهل كورس (كيرو باديون) وانتشب القتال ونازل ملك سوريا عدوهُ لزيماخوس وقتلهُ وشتت شمل عساكره في تلك البطاح الا انهُ خرّ بعد ذلك بايام قليلة قتيلاً

بسيف خيانة بطلماوس كارانس احد اصدقائهِ وبموتهِ انتبهت رعاياهُ من رقدة الخمول وثار بعضهم في طلب الاستقلال فتحررت لذلك سكان البونتس وكبادوكية وبيثينيا وبرغامس واصبحت جميعها ممالك يسوسها ملوك وطنيون

وخلف سلوقس على عرش سوريا ابنهُ انطيوخس الاول الملقب بصوتر اي المخلص لانهُ قهر الغاليين وخلص بلاده منهم وملك تسعة عشر عاماً لم يحدث في اثنائها امرٌ ذو بال سوى قتالهِ ملك مصر سنة ٢٦٤ وموتهِ سنة ٢٦١ في حرب جرت بينهُ وبين الغاليين

وبعده تبوأ سرير الملك ابنهُ انطيوخس المعروف بثيوس اي الاله واول من دعاه بهذا اللقب سكان مدينة ميلتّس لانهُ قاتل وقتل تيمارخوس واليهم الذي ارسلهُ بطلماوس ليسوس بلاد كاريا فخرج عليهِ واستبد بالاحكام

وكانت الحرب قائمة بين انطيوخس والمصريين على قدم وساق فانتهز هذه الفرصة البكتريون سكان بكتريا (بخارى) والبارثيون سكان بارثيا (خورسان) وجاهروا بالعصيان فتسنى لهم الاستقلال واصبح ذانك الاقليمان مملكتين حرتين فضاق اذ ذاك ملك سوريا ذرعاً وعقد مع بطلماوس صلحاً سنة

٢٢٥ من شروطهِ انهُ يتزوج بابنتهِ برنيكي و يكون مَنْ تلده وليَّ عهده مع ان اختهُ لاوديكي التي اقترن بها علنًا في العام الاول من ملكهِ كانت قد ولدت لهُ غلامين . ولما مات بطلماوس وزال خوفهُ من قلب انطيوخس هجر هذا الملك برنيكي ونقض العهد بحرمهِ ابنها حقوق الملك بعدهُ فغضب من فعلهِ اخوها ايرجتس وبادر اليهِ بالخيل والرجل وكانت لاوديكي مشفقة من ولديها وخائفة ان تدور عليها الدوائر فجرعت زوجها سمًّا زعافًا واذاعت انهُ مريض ومشرف على الموت واضجعت في فراشهِ رجلاً يونانيًّا يشبههُ اسمهُ ارتامون وامرتهُ ان يوصي بالملك لابنها سلوقس ففعل ثم ارسلت نفرًا قبضوا على برنيكي وولدها وقتلوهما مع كثيرين من اعوانها المصريين سنة ٢٤٦ ق . م وانتشبت لذلك حرب مهولة بين بطلماوس ايرجتس ملك مصر وسلوقس الثاني ملك سوريا الملقب بكالّينيكوس اي الظافر الجميل كانت نتيجتها استيلاء الاول على قسم عظيم من سوريا وقتل لاوديكي عدوتهِ وام خصمهِ وكأَنَّ ما حدث من المعارك والخطوب لم يكن كافيًا لخراب البلاد حتى قام سلوقس واخوهُ انطيوخس يتنازعان الملك ويثيران حربًا عوانًا وفتنًا اهلية احتدمت نارها في جميع اقطار المملكة وكادت تذهب بها

وباهلها الى دركات الذل والخمول. ودام القتال بين هذين الاخوين ثلثة اعوام ولم ينتهِ الا بانتصار سلوقس انتصارًا تامًّا وفرار انطيوخس الى مصر حيث اقام اسيرًا ثلث عشرة سنة وقتلهُ وهو هارب الى سوريا بعض العربان الغزاة

ومات سلوقس سنة ٢٢٦ ق.م في ارض بارثيا وسبب ذلك انهُ اراد اخضاع تلك الامة القوية الباسلة فحاربتهُ وقهرتهُ مرارًا واخيرًا قبضت عليهِ واعتقلتهُ وبقي في بلادها حتى ادركهُ الحمام فخلفهُ ابنهُ سلوقس الثالث الملقب بكارانوس اي الصاعقة وهو امير خامل ضعيف وقد لقبوه بالصاعقة سخرًا منهُ وفي سنة ٢٢٣ ق.م قتلهُ بعض اجناده فجلس على السرير انطيوخس الثالث المعروف بالكبير

ان هذا الامير لاعظم واشجع ملك تبوأ عرش سوريا بعد سلوقس موسس المملكة وقد حقَّ لهُ ان يدعى بالكبير لانهُ فاق بشجاعتهِ واصالة رأيهِ في اكثر الاحوال جميع سلفائهِ وخلفائهِ وكفانا دليلاً على ذكائهِ واقدامه ما اتاه من الحكمة وفصل الخطاب لتوطيد سلطته على بلاد وسع نطاقها بعد ان كاد يفقدها من جراء الثورات وانقسام الروساء لاسيما مكر ودهاء وزيره الاكبر ارمياس الذي كان جاهدًا في زرع الفتن الاهلية

وتكثير الارتبكات الداخلية ليسلب الملك اميرًا فتى كان يحسبه غرًا ولست انكر انكسار انطيوخس مرارًا في الحروب المهولة التي اضرم نارها وعوده بالذل والفشل من قتال الرومانيين الابطال غيران ذلك الانكسار لا يحط قدره وانما يعرضهُ للملامة لاعتراضهِ امة قوية سادت ببأسها وبسالتها وقهرت اقوى الشعوب في الزمان القديم

وكان سكان ماديا وفارس مشهرين راية العصيان فاشار عليهِ وزيرهُ الاكبر ارمياس ان يبعث بالجنود اللازمة لقتالهم ويزحف هو لمحاربة ملك مصر والاستيلاء على كليسيريا (سهل البقاع) ففعل وعاد من غارتهِ مقهورا ذليلاً ولا يخفى ما في هذه المشورة من الخطأ لانهُ عادى اميرًا كان الاجدر بهِ استرضاءهُ حتى يتمكن من قمع الثائرين الذين استفحل امرهم في تلك الارجاء ولكن لارمياس مقاصد شريرة كان يسعى في تحقيقها ولو بخراب البلاد

وعلم انطيوخس بعد كسرته خبث ومكر وزيرهِ فجهز فرسانه وابطالهُ وذهب لقتال العصاة فاخضعهم وقفل راجعًا الى عاصمتهِ ظافرًا مسرورًا وكان ارمياس عاملاً على قتل من رآهُ من اعوان الملك صادقًا امينًا فتفاقمت شرورهُ وظهر مكرهُ وكان

ذلك سبب هلاكهِ

ولما استتب الامر للملك نشط للحروب والفتوح واستولى بخيانة احد القواد المصريين على سهل البقاع واقليمي فينيقية وفلسطين فوقعت الوحشة بينهُ وبين بطلماوس صاحب مصر واخذ كلٌّ منهما في الاستعداد للقتال. فالتقى الجيشان سنة ٢١٨ بالقرب من مدينة رافيا وبعد مناوشات كثيرة جرت معمعة عظيمة انتصر فيها بطلماوس على خصمهِ واكرههُ على تخلية البلاد التي افتتحها اخيرًا ولكنهُ استرجعها سنة ٢٠٢ ق. م حينما حالف فيلبس ملك مكدونية وعول معهُ على اقتسام المملكة المصرية

وكانت افعال ارمياس المنكرة قد اثارت في قلوب بعض الروساء بغض انطيوخس فرفع اخياس احد الولاة راية العصيان ولما استفحل امرهُ جمع الملك العساكر والفرسان وزحف لقتالهِ فحصرهُ في مدينة سرديس التي استولى عليها عنوة بعد حصار دام سنتين واماتهُ شر ميتة وعلق جثتهُ على الصليب لتكون للناس والعصاة عبرة وذكرى

ولم يكن انطيوخس من الاولى يرغبون في الملك ليقضوا العمر غارقين ببحار الملذات والسرور بل كان دابهُ شن الغارة على الامم المجاورة لبلادهِ لتوسيع نطاق مملكتهِ واعلاء منار

مجدهِ في سائر الاقطار . فجهز جيشًا عرمرمًا سار بهِ سنة ٢١٤ ق.م الى اراضي بارثيا وبكتريا فقهر ملكيها في جميع المعامع التي حدثت وعاد الى بابل سنة ٢٠٤ ومعهُ من الاسلاب والغنائم ما لا يحصى

ولم يزل هذا الملك القادر سالكًا سبل الاطماع سائرًا في مناهج الفتوح والفلاح حتى اخضع جميع المدائن المستقلة في آسيا الصغرى واستولى على قسم كبير من البلاد الاوربية ووطد سلطتهُ على تلك الاقاليم الواسعة الشاسعة بجنوده الجرارة وسفنه الكثيرة المتجولة في البحر المتوسط فوقع خوفهُ في قلوب سائر الامم المجاورة وكان بعضهم محالفًا للرومانيين والبعض الآخر قد استجار بهم فاجاروهُ وطلبوا الى انطيوخس ان يكف اعتداءهُ ويضع لمملكته حدودًا لا يتعداها فاعارهم اذنًا صماء واخذ يستعد للقتال عملاً بنصيحة انيبال القرطجني الشهير الذي فرّ هاربًا من بلادهِ ولجأ اليهِ فرحب بهِ واحلهُ محلاً عاليًا

واشار عليهِ ذلك القائد القرطجني العظيم ان يجعل ساحة القتال في الديار الايطالية ليوقع اعداءهُ في الارتباك والانقسام وسالهُ ان يقلدهُ قيادة الجيوش التي يمكنهُ ارسالها لانهُ خاض عجاج الحروب في تلك الارجاء ستة عشر عامًا وجال بها طولا

وعرضًا فانه خبيرًا بمواقعها عليمًا بطباع واميال الاقوام الساكنين فيها فلم يرضخ انطيوخس لمشورته الحكيمة بل سار سنة ١٩٢ ق.م بعشرة الاف راجل وخمسمائة فارس وستة افيال الى بلاد اليونان ليملكها ويساعد الايتوليين على الرومانيين فالتقاه الايتوليون بالترحاب والاكرام واقاموهُ قائدًا عامًّا لجنودهم

ورأى الرومانيون الاخطار المحيطة بهم وادركوا مادون نجاح انطيوخس من الاضرار لمصالحهم في الشرق وعلموا ان الحرب ضرورية لابد منها فاستعدوا لها وارسلوا في الحال جنودهم الى بلاد اليونان وفي سنة ١٩١ ق.م التقى الفريقان بالقرب من مضيق ثرموبيلي وانتشب القتال وكان مهولاً وانكسرت في ذلك النهار عساكر انطيوخس وفرَّ هذا الملك هاربًا الى افسس يطلب النجاة

وكان انطيوخس جاهلاً طباع الرومانيين واطماعهم فظنهم بعد هزيمته سيتركونهُ وشانهُ ويرحلون ولقد فاتهُ ان تلك الامة العظيمة الجاهدة دائمًا في توسيع نطاق املاكها بالمشرقين تتذرع باسباب طفيفة لاثارة الحروب واراقة الدماء توصلاً لما تبتغيهِ اولعل الكبر قد اضعف بصيرتهُ وبصرهُ فاصبح

غير قادر ان يدرك عظم الاخطار وان ينظر عن بعد جيوش الرزايا المقبلة ولكن انيبال القرطجني الحكيم نبههُ من رقدة اهمالهِ وحرضهُ ان يتخذ الوسائل اللازمة لردّ غاراتهم على بلاده الاسيوية فانتبه لحالتهِ التعيسة وسعى في تجهيز الجنود وتحصين الحصون وفي السنة التالية جرت بين الفريقين حروب مهولة ومعارك كثيرة برًّا وبحرًا انتصر الرومانيون في جميعها انتصارًا تامًا والجأوا انطيوخس لعقد الصلح بالشروط الآتية

اولاً : تجلو جنودهُ عن المدائن الاروبية التي ملكها والاراضي الواقعة وراء جبل طورس ولا يسوغ لهُ ابدًا ان يشن الغارة على تلك الديار

ثانيًا . ينقد الرومانيين خمسة عشر الف وزنة آتية (نحو مليونين وتسعمائة وستة الاف ومائتين وخمسين ليرة انكليزية) يدفع خمسها عاجلاً والاربعة اخماس بمدى اثنتي عشرة سنة

ثالثًا : يعطي الرومانيين افيالهُ وكل سفنهِ الحربية ما خلا عشرًا ويسلم اليهم انيبال القرطجني

رابعًا : يرسل الى رومية رهائن عشرين رجلاً من جملتهم ابنهُ انطيوخس

وكانت الحروب التي اثارها في السنين الماضية قد

استهلكت جميع اموالهِ فبات غير قادر ان ينقد الرومانيين الدراهم التي اتفقوا عليها . وكان من عوائد القدماء ان الحكومة والاغنياء يدخرون ما يملكونهُ من لجين ونضار في الهياكل الكبيرة فذهب انطيوخس سرًّا مع بعض اعوانهِ الى هيكل عظيم باقليم اليمايس في بلاد فارس لينهب النقود المخزونة فيهِ فابتدر اليهِ الحراس بالعصي والسلاح وقتلوه سنة ١٨٧ ق.م وتبوأ عرش سوريا بدلاً منهُ ابنهُ الابكر سلوقس فيلوباتور وهو رجل خامل لم ياتِ امرًا بذكر سوى ارسالهِ سنة ١٧٦ خازنهُ اليودوروس لينهب هيكل اورشليم وقد ذكر علماء اليهود انهُ حينما رام هذا الوزير الدخول الى الهيكل خاف وارتجف وسقط على الارض لا حراك لهُ فاقامهُ رئيس الكهنة وارجعهُ الى من بعثهُ صفر اليدين وفي سنة ١٧٥ ق.م مات سلوقس مسمومًا فخلفهُ اخوه انطيوخس الرابع الملقب بابيفانس اي الشهير او الاغرّ وهو اميرٌ ظالم عاتٍ يحسب الناس بهائم دنيئة خلقت لخدمته ويحب الاموال حبًا شديدًا كأنهُ خلق لعبادتها . وفي سنة ١٧١ شنّ الغارة على الديار المصرية وبعد حروب مهولة دامت اربعة اعوام كاد يملك بها ذلك القطر الخصيب ارسل اليهِ الرومانيون سفيرًا يامرهُ ان يكف القتال ويرجع الى بلادهِ

فامتثل لامرهِ طائعًا وعاد الى عاصمتهِ بخفي حنين . وكان في هذه الاثناء صارفًا همهُ لاختلاس اموال رعاياه بطرق لم يسبقهُ اليها احد من سلفائهِ وذلك انهُ اراد تغيير اديان الشعوب الخاضعين لهُ واكراههم على التدين بدينهِ واعطائهِ ما تحوي هياكلهم من من النقود والاشياء الثمينة فانقاد لاوامرهِ كثيرون والذين عصوهُ سامهم خسفًا واذاقهم عذابًا اليمًا ولما كان اليهود شديدي التمسك بدين اجدادهم وكانت الفتن الاهلية قائمة في بلادهم على قدم وساق اتاهم مسرعًا وقاتلهم فقتل واسر منهم نحو ثمانين الف نفس واخذ من هيكلهم ما تبلغ قيمتهُ ثلثة ملايين ليرة انكليزية . ووضع فيهِ تمثال إله اليونانيين واظنهُ تمثال جوبتير وجعل عقاب من لا يسجد لهُ الموت الزؤام فمات عدد عديد بالنار او بعذابات اخرى تقشعر منها الابدان غير ان افعالهُ هذه المنكرة اضرمت في قلوب هؤلاء الاقوام التعساء نار الحمية والشجاعة فجهزوا الجنود وحاربوا ملوك سوريا مدة ستة وعشرين عامًا ونالوا الحرية والاستقلال بمساعدة قوادهم المكابيين الابطال . وكان الفرس قد ضاقوا ذرعًا من مظالمهِ ورفعوا راية العصيان فذهب لمحاربتهم فحاربوهُ والجأوهُ سنة ١٦٤ الى الرجوع مقهورًا ذليلاً وبينما كان سائرًا سقط من مركبتهِ وجرح

جراحًا بليغة مات من جرائها في قرية صغيرة اسمها تابي واقعة عند طرف جبال زاغروس (هي جبال في اراضي كردستان ولورستان) وقد نسب بعض المورخين اليونانيين موتهُ الى غضب الآلهة لانهُ انتهك حرمتها ونهب اموالها وقال اليهود ان الله قد سخط عليهِ واماتهُ شر ميتة لكونهِ عذَّب شعبهُ الخاص ودنس هيكلهُ المقدس في مدينه اورشليم ووسع هذا الملك مدينة حماه الواقعة على ضفة نهر اورونتس (اي العاصي) ودعاها ابيفانيا نسبة الى لقبهِ ابيفانوس

وكثرت بعد موت انطيوخس ابيفانس الفتن الاهلية لسبب نزاع الامراء الراغبين في الملك وتوالى على عرش المملكة نحو عشرين ملكًا في مدة مائة سنة فقط فلزيادة الايضاح وخوفًا من ملل القارئ نورد اسماءهم بالترتيب ونذكر ما فعلوهُ بالاختصار

- (١) انطيوخس الخامس الملقب باوباتور ابن انطيوخس ابيفانس خلف اباه وله من العمر تسع سنوات وبعد ما ملك سنتين خلعهُ وقتلهُ ديمتريوس صوتر سنة ١٦٠ ق.م

- (٢) ديمتريوس الاول الملقب بصوتر ابن سلوقس الرابع فيلوباتر وحفيد انطيوخس الكبير ارسلهُ ابوه وهو صغير الى رومية وبقي فيها الى ان مات انطيوخس الرابع ابيفانس

حينئذٍ فرَّ هاربًا الى سوريا لان المجلس الروماني حظر عليهِ الذهاب لهناك ولما وصل الى البلاد قبض على زمام الاحكام وقتل انطيوخس اوباتور مع وصيهِ

ــ (٣) اسكندر بالاس هو رجل من عائلة دنيئة ادعى انهُ ابن انطيوخس الرابع ابيفانس وملك سنة ١٥٠ ق٠م بعد ما قهر وقتل ديمتريوس صوتر

ــ (٤) ديمتريوس الثاني الملقب بنيكاتور ابن ديمتريوس صوتر قدر بمساعدة ملك مصر على استرجاع المملكة سنة ١٤٦ ولما كان سلوكهُ رديئًا خرج عليهِ الشعب وطرده تريفون من البلاد وملَّك عوضًا عنهُ ابن اسكندر بالاس الطفل فذهب ديمتريوس اذ ذاك لمحاربة البارثيين فحاربهم ووقع بيدهم اسيرًا غير ان متريدات ملك بارثيا احبهُ واعتقهُ وزوجهُ بابنتهِ رودوغين وفي سنة ١٢٨ امات ملك سوريا في حرب جرت بينهُ وبين البارثيين فقبض ديمتريوس مرة ثانية على زمام احكام البلاد وفي ذلك الاوان شن الغارة على الديار المصرية فانكسر وفرَّ هاربًا الى مدينة صور فقتلتهُ هناك امراتهُ كليوبترا لانها كانت حاقدة عليهِ لتزوجهِ برودغين البارثية

ــ (٥) انطيوخس السادس الملقب بثيوس نصبهُ تريفون

ثم خلعهُ وقتلهُ سنة ١٤٢ ق٠م

ــ(٦) تريفون ديودتس خلع ديمتريوس الثاني وملَّك انطيوخس السادس ثم خلع هذا وتبوأ عرش المملكة الى ان قتلهُ انطيوخس سيداتس اخو ديمتريوس،

ــ(٧) انطيوخس السابع الملقب بسيداتس نسبة الى مدينة سِيْدِيْ (هي خراب بالقرب من اسكي اداليا) خلع وخلف تريفون سنة ١٣٧ وتزوج كليوبترا امراة اخيهِ ديمتريوس نيكاتور ومات سنة ١٢٨ في حرب جرت بينهُ وبين البارثيين فخلفهُ اخوهُ ديمتريوس كما تقدم القول تحت عد ٤

ــ(٨) سلوقس الخامس ابن ديمتريوس الثاني تبوأ عرش المملكة حينما بلغهُ موت ابيهِ غير ان كليوبترا التي قتلت اباهُ قتلتهُ ايضًا لكونه ملك بلا اذنها

ــ(٩) انطيوخس الثامن الملقب بغريبس اي ذي الانف الاعوج هو ابن ديمتريوس نيكاتور ملك سنة ١٢٥ ق٠م وقتل امهُ كليوبترا سنة ١٢٠ لانها ندمت على توليتهِ وارادت يومًا قتلهُ فاستحضرت سمًّا وضعتهُ في شراب وقدمتهُ لهُ حين رجوعهِ من الصيد اما هو فعوضًا عن ان يشرب الشراب المذكور سقاها اياهُ وخلص الناس من شرورها وبعد ذلك حدثت حرب بينهُ

وبين اخيهِ كيزيكانس كانت نتيجتها اقتسام الاخوين المملكة بينهما فاستولى كيزيكانس على فينيقية وسهل البقاع واخذ غريبس الاقاليم الباقية الاَّ انهُ مات قتيلاً سنة ٩٦ ق٠م

ــ (١٠) انطيوخس التاسع الملقب بكيزيكانس نسبة الى مدينة كيزيكس هو ابن انطيوخس السابع وكليوبترا ملك على البقاع وفينيقية من سنة ١١٢ الى ٩٥ وقتل في حرب جرت بينهُ وبين سلوقس ابيفانس

ــ (١١) سلوقس السادس الملقب بابيفانس ونيكاتور اكبر اولاد انطيوخس غريبس تبوأَ عرش المملكة سنة ٩٥ ق٠م وقتل عمهُ انطيوخس كيزيكانس فحاربهُ انطيوخس اسيبس بن كيزيكانس وطرده من سوريا ففر هاربًا الى مدينةموبسيستا (المصيصة) وقبض على زمام احكامها الا انهُ لسبب ظلمهِ خرج عليهِ اهل المدينة وحرقوه

ــ (١٢) انطيوخس العاشر الملقب باسيبس هو ابن انطيوخس كيزيكانس قهر سلوقس ابيفانس الذي قتل اباه وجلس على عرش المملكة سنة ٩٥ ق٠م

ــ (١٣) فيلبس بن انطيوخس غريبس ثأر اباه مع اخيهِ انطيوخس الحادي عشر وحارب انطيوخس العاشر

ـ (١٤) ديمتريوس الثالث ايكورس ابن انطيوخس غريبس قبض مع اخيهِ فيلبس مدةً على زمام احكام سوريا الا انهما تنازعا السلطة بعد ذلك وتقاتلا فأُسر ديمتريوس وأُرسل الى بلاد بارثيا ومات هناك

ـ (١٥) انطيوخس الحادي عشر ابيفانس ابن انطيوخس غريبس غرق في نهر العاصي وهو يحارب انطيوخس اسيبس

ـ (١٦) انطوخس الثاني عشر ديونسيس اخو انطيوخس الحادي عشر ملك بعض ايام ومات في حرب جرت بينهُ وبين العرب

ـ (١٧) تيغرانس ملك ارمينيا. وحدث ان السوريين ملّوا الحروب وارادوا التمتع بالراحة والسلام فملكوا عليهم تيغرانس المذكور الذي اضاف سوريا الى بلاده سنة ٨٣ق.م وبقي مالكاً عليها الى سنة ٦٩ ق.م حينما قهرهُ الرومانيون

ـ (١٨) انطيوخس الثالث الاسيوي ملك بعد تيغرانس وبقي قابضاً على زمام الاحكام الى سنة ٦٥ حينما دخل بومبيايس سوريا وجعلها ولاية رومانية

بيان اسماء ملوك سورية ومدة ملك كلٍّ منهم

اسم الملك	لقبه	مدة ملكه	اوان ملكه		اوان خلعه او موته	
		سنة	سنة	ق.م	سنة	ق.م
سلوقس الاول	نيكانور	٣٢	٣١٢	..	٢٨٠	..
انطيوخس الاول	صوتر	١٩	٢٨٠	..	٢٦١	..
انطيوخس الثاني	ثيوس	١٥	٢٦١	..	٢٤٦	..
سلوقس الثاني	كالينيكوس	٢٠	٢٤٦	..	٢٢٦	..
سلوقس الثالث	كارانس	٠٣	٢٢٦	..	٢٢٣	..
انطيوخس الثالث	الكبير	٣٦	٢٢٣	..	١٨٧	..
سلوقس الرابع	فيلوباتور	١٢	١٨٧	..	١٧٥	..
انطيوخس الرابع	ابيفانس	١١	١٧٥	..	١٦٤	..
انطيوجس الخامس	اوباتور	٠٣	١٦٤	..	١٦٢	..
ديمتريوس الاول	صوتر	١٢	١٦٢	..	١٥٠	..
اسكندر بالاس		٠٥	١٥٠	..	١٤٦	..
ديمتريوس الثاني نيكانور انطيوخس السادس تريفون			١٤٦	..	١٣٧	..
انطيوخس السابع	سيدانس	٩	١٣٧	..	١٢٨	..
ديمتريوس الثاني مرة ثانية	نيكانور		١٢٨	..	١٢٥	..

اسم الملك	لقبه	مدة ملكه سنة	اوان ملكه سنة ق.م	اوان خلعه او موته سنة ق.م
سلوقس الخامس			١٢٥ " "	١٢٥ " "
انطيوخس الثامن	غريبس		١٢٥ " "	٩٥. " "
انطيوخس التاسع	كيزيكانس			
سلوقس السادس				
انطيوخس العاشر	ايسبس			
فيلبس			٩٥. " "	٨٣. " "
ديمتريوس الثالث	ايكاروس			
انطيوخس الحادي عشر	ابيفانس			
انطيوخس الثاني عشر	ديونسس			
نيغرانس ملك ارمينيا		١٤	٨٣. " "	٦٩. " "
انطيوخس الثالث عشر	الاسيوي	٤.	٦٩. " "	٦٥. " "

الفصل الرابع
في
الممالك التي انفصلت عن الدولة المكدونية السورية

(١)

بارثيا او خورسان

هي بلاد واقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من بحر قزبين استقلت سنة ٢٥٠ على يد ارساكس ملكها الاول واستولت ملوكها بعد ذلك على اقليم بكتريا (بخارى) واخضعت جميع

القبائل الساكنة بين نهر الفرات ونهر الهند وبين الاوقيانوس الهنديّ ونهر اوكسس (جيحون) وبقيت هذه المملكة مستقلة وقادرة ان تحارب الرومانيين وتردهم بالذل والفشل الى ان سرت روح الانقسام وحب الرئاسة في صدور امرائها فضعفت ومهدت اطماع روسائها سبل خضوعها للغرباء فاستولى عليها ترايان سلطان رومية سنة ١١٦ ب٠م ولكنها استقلت بعد موته وفي سنة ٢٣٦ ب٠م افتتحتها الدولة الساسانية واضافتها الى مملكة فارس

(٢)

برغامس

هي مدينة في اقليم ميسيا (الان خان كرزي وهو القسم الشمالي الغربي من بر الاناضول) كانت صغيرة جداً فكبرها وحصنها لزيماخوس صاحب تراكة وولّى عليها فيلتياروس ولما حارب سلوقس ملك سوريا لزيماخوس واستولى على بلاده عصاهُ فيلتياروس وأسس سنة ٢٨٠ مملكة برغامس التي وصلت الى شأ و مجدها سنة ١٩٠ ق٠م حينما قهر الرومانيون انطيوخس الكبير ومنحوا ملكها ايمانوس الثاني كل اقليم ميسيا وليديا وفرجيا الكبرى والصغرى وليكاونيا (قسم من كارامان)

وبيسيديا وبامفيليا (اداليا) وفي ذلك الاوان بنيت مكتبتها الشهيرة واكتشف اهلها طريقة عمل الرق وهو جلد رقيق يكتب فيهِ ودعوها «خارتا برغامينا» اي ورق برغامس ومن هذه اللفظة اخذ الفرنسويون كلمة «بارشيمان» والانكليز «بارتشمنت» للورق المذكور . وبقيت هذه المملكة مستقلة الى حين وفاة ملكها اطّالوس الثالث الذي اوصى بها للرومانيين بعد موتهِ فاستولى عليها القوم المشار اليهم سنة ١٢٠ وجعلوها ولاية رومانية ودعوها الولاية الاسيوية

(٣)

بيثينيا

هي اقليم في اسيا الصغرى يحدها شمالاً بحر الاسود وجنوبًا فرجيا ابيكتاتس وشرقًا بافلاغونيا وغربًا ميسيا انفصلت عن المملكة السورية سنة ٢٧٨ ق.م وبقيت مستقلة الى حين موت ملكها نيكوميديس الثالث الذي اوصى بها للرومانيين فاضيفت سنة ٧٤ ق.م للولاية الاسيوية

(٤)

غلاطية

هي القسم الشرقي من الاناضول والغربي من ارض الروم

دعيت غلاطية نسبة الى الغاليين الذين سكنوا فيها بعد ان غزوا البلاد المكدونية وما يجاورها وجعلت ولاية رومانية سنة ٢٥ ق٠م

(٥)

البونتس

هي البلاد الواقعة عند سواحل بحر الاسود شرقي نهر اليس الان قزل ارمق او النهر الاحمر استقلت قبل موت انتيغونس حينما كان خلفاء اسكندر منهمكين في الحروب والفتن الاهلية ووسع ملوكها بعد ذلك نطاقها بان اضافوا اليها بعضاً من الاقاليم المجاورة. واشهر هولاء الملوك متريدات السادس او الكبير الذي قبض على زمام الاحكام وهو غلام وحارب الرومانيين زماناً طويلاً وانتصر عليهم مراراً الا ان بومبايس وغيره من القواد الرومانيين قهروه في مواقع عديدة وحدث ان ابنهُ فارناسس خرج عليهِ وسلبهُ الملك فضاق متريدات ذرعاً وانتحر سنة ٦٣ ق٠م (١) وجعلت البلاد بعد موتهِ ولاية رومانية

(١) انظر قصة متريدات بالتفصيل في تاريخ الرومانيين الفصل الرابع والسادس من الباب السادس

(٦)

كبادوكية

هي بلاد في آسيا الصغرى واقعة الى الجهة الشرقية من نهر أليس (قزل ارمق او النهر الاحمر) والجهة الشمالية من جبال طورس استولى عليها المكدونيون حيناً من الزمان ثم استقلت سنة ٣١٥ ق٠م على يد ملكها ارياراتس الثاني وفي سنة ١٥ ب٠م سجن طيباريوس قيصر ارخلاوس اخر ملوكها في رومية وجعل البلاد ولاية رومانية

(٧)

ارمينيا

هي بلاد واقعة بين اسيا الصغرى وبحر قزبين يخرج منها نهرا الفرات والدجلة ويقسمها الاول الى قسمين غير متساويين يدعيان ارمينيا الصغرى وارمينيا الكبرى قد استقلتا سنة ١٩٠ ق٠م على اثر انكسار انطيوخس الكبير ملك سوريا ٠ واستولى الرومانيون سنة ٧٥ ب م على ارمينيا الصغرى وجعلوها ولاية رومانية اما ارمينيا الكبرى فبقيت مستقلة الى سنة ٢٢٦ ب٠م وفي ذلك الاوان اغار عليها الشاه اردشير الفارسي فافتتحها واضافها الى سلطنته الواسعة

(٨)

بلاد اليهود او فلسطين

هي قسم من سوريا واقعة بين بحر المتوسط وجبال لبنان ونهر الاردن وبحيراتهِ خرج اهلها سنة ١٦٧ ق٠م على انطيوخس ابيفانس وقدروا ان ينالوا الاستقلال بمساعدة بعض رؤساء كهنتهم المدعوين بالمكابيين نسبة الى يهوذا المكابي قائدهم الاول بعد موت ابيهِ ماتياس وقبض المكابيون على زمام الاحكام اثناء الاستقلال وبعدهُ واول رجل منهم دعي ملكاً هو ارستوبيلوس الذي تبوأ عرش المملكة سنة ١٠٦ ق٠م وبقي المكابيون مالكين على بلاد اليهود الى سنة ٤٧ ق م حينما خلع يوليوس قيصر اركانس وارستبولس وولّى بدلاً منهما انتيباتر الادومي ابا هيرودس الكبير ومع ان اليهود كانوا خاضعين للرومانيين او مقرين بسيادتهم منذ اتى بومبايس الى الشرق وافتتح اورشليم سنة ٦٣ ق٠م لم تُجعل بلادهم ولاية رومانية الا في سنة ٧ ب٠م حينما خلع اغسطوس قيصر ارخلاوس بن هيرودس وارسل اليهم واليًا من قبلهِ

الفصل الخامس
في مملكة مصر

ان بطلماوس صوتر ملك مصر الاول هو ابن ارسنوي سرية فيلبس المكدوني ورجل دنيء اسمهُ لاغوس قبض على زمام احكام الديار المصرية حينما اقتسم اعوان اسكندر الكبير بينهم تلك المملكة الواسعة وفي سنة ٣٠٦ ق٠م اعلن نفسهُ ملكًا اقتداءً بولاة الولايات الاخرى .وقد ظنهُ البعض ولا سيما الجنود انهُ ابن فيلبس نفسهُ فلو صحت هذه الرواية لكان افضل امير يحق لهُ ان يتولى ادارة المملكة مدة طفولية اسكندر اغس ولكنهُ آثر في كل حال سياسة اقليم شاسع خصيب يمكنهُ صيانتهُ من غدر واطماع رفقائهِ على ان يكون رئيسًا عامًا وليس لهُ من الحكم والسلطة نصيب

وكان لليونان قديمًا مستعمرات في سواحل افريقيا الشمالية باقليم كيرينيكا الان درنهْ او جبل الاخضر وهو القسم الشمالي الشرقي من طرابلس الغرب وموقعهُ بين جون سدرة وجون بومبه ٠ قال العارفون وذلك المكان من اجمل الاقاليم واحسنها هواءً وتربة ومعظم ارضهِ مرتفع عن البحر وممتد اليهِ بانحدار بديع فهناك ترى العيون والجداول متدفقة من الروابي والاكام

ومتسلسلة في المروج والغياض فتكسو بساتينها من النبات ثوبًا اخضر بهيًا وتزيد جناتها الفيحآء حسنًا وجمالاً واذا هبت عليها من الصحراء ريح حارة تردها الجبال العالية وتبردها نسمات الهواء الشمالي فالى هذا القطر الخصيب طمحت ابصار بطلماوس ولما استتب له الامر جهز جنوده وافتتحهُ سنة ٣١٢ اي في السنة الاولى من ملكه على الديار المصرية وفي العام الثاني استولى على فينيقية وفلسطين وطرد واليهما الذي اقامهُ انتيباترغيران اليهود لم يخضعوا لهُ سريعًا بل حاربوهُ وصمموا ان يردوه بالخيبة والفشل فاتاهم وحاصر اورشليم مدة طويلة ودخلها عنوة في يوم السبت بينما كانوا مشتغلين في العبادة والصلوة ثم ارتد راجعًا الى مصر وقد احتمل مئة ماية الف يهودي فرقهم في البلاد وسمح لهم ان يعيشوا بالراحة والسلام متمتعين بحريتهم وحقوقهم المدنية .

وكان هذا الملك الحكيم صارفًا همهُ في توطيد سلطتهِ وتوسيع نطاق مملكتهِ منعوبا فيها اركان المعارف والعلوم ومنشطًا بمواهبهِ واجتهاده طلبة العلم واهلهُ فبنى لذلك مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي بلغ عدد كتبها في اواخر ايام البطالسة سبعمائة الف مجلد وشاد دارًا للتحف وهي اول دارٍ شادها

البشر لهذه الغاية وبنى اربع مدارس الاولى منها للمناظرة والبحث والثانية للهندسة والثالثة لعلم الفلك الحقيقي والرابعة للتشريح والطب وفي عهدهِ نبغ عدة فلاسفة وشعراء مفلقين وجملة القول انهُ كان احكم وابرع امير خلف اسكندر الكبير وكانت وفاتهُ سنة ٢٨٥ ق.م وتبوأ عرش المملكة بدلاً منهُ ابنهُ بطلماوس الثاني فيلادلفس اي المحب اخوتهِ

ولم يكن فيلادلفس باقل نشاطًا وغيرة على العلم من ابيهِ فانهُ اوصل مصر الى اوج المجد والفخار وجعلها محط ركائب الفلاسفة والعلماء والتجار من سائر الاقطار ووطد شوكتهُ بحكمتهِ الفائقة وجنوده الكثيرة البالغ عددها مائتي الف راجل واربعين الف فارس وكان لهُ ثلثمائة فيل والف مركبة حربية واسلحة وآلات للحصار لا تحصى مع سفن عديدة قوية واموال وافرة قيل انهُ ترك بعد موتهِ سبعمائة واربعين الف وزنة مصرية وهي اكثر من مائة وتسعين مليون ليرة انكليزية وكانت مملكتهُ واسعة جدًّا ومشتملة على القطر المصري وسواحل افريقيا الشمالية وفينيقية والبقاع وبلاد كليكيا وما يجاورها

ولا ريب انهُ كان محبًّا للتجارة والفنون حريصًا على صيانة مصالح رعاياه وعاملاً على توفير اسباب نجاحهم وخيرهم ودليل

ذلك الاعمال العظيمة التي باشرها والتي يبقى ذكرها الى الابد مثالاً للاجتهاد وحسن السياسة والاقدام من جملتها حفرهُ ترعة واسعة وصل بها البحر الاحمر بالنيل ففتح طريق الهند وبلاد العرب للاوربين لان السفن كانت تجتاز من البحر المتوسط الى البحار الجنوبية بواسطة نهر النيل ولا تخفى عن اللبيب فائدة هذا المشروع الجليل الذي اقدم عليهِ كثيرون من ملوك مصر القدماء ولم يمكنهم اتمامهُ . ويظهر ان الترعة المذكورة قد أُهملت بعد موت فيلادفس فخربت وبقي سكان اوربا والاقاليم الشمالية كانهم مفصولون عن البلاد الهندية لايستطيعون الوصول اليها الا بشق الانفس حتى اكتشف ارباب السياحات طريق راس الرجا الصالح وحفر فرديناد دلسبس المهندس الفرنسوي الخبير برزخ السويس فمرج البحرين وحقق اماني طالما عدها الناس من الامور المستحيلة

روى بعضُ مورخي اليهود ما مفادهُ ان بطلماوس فيلادفس سمع بالتوراة وكتب اخرى مقدسة واراد ترجمتها الى اللسان اليوناني فارسل اليهِ رئيس الكهنة توراة مكتوبة بماء الذهب مع أثنين وسبعين عالمًا ترجموا الكتب المذكورة وترجمتهم هذه هي المدعوة بالسبعينية

وما زال هذا الملك راقيًا معارج التمدن والفلاح حتى ادركتهُ المنية سنة ٢٤٧ ق٠م فتبوأ العرش المملكة ابنهُ بطلماوس الثالث الملقب بارجتس اي الكريم وسبب ذلك انهُ ارجع الى الهيا كل المصرية التماثيل والامتعة المقدسة التي نقلها كامبيسس الى بابل وبلاد فارس حينما اخضع مصر واشهر اعماله حروبهُ مع ملوك سوريا انتقامًا من لاوديكي امراة انطيوخس ثايوس التي قتلت اختهُ برينيكي كما علمت في الفصل الثالث (١)

وكان ايرجتس مهذبًا واديبًا مثل ابيهِ وجدهِ فاعلى في بلادهِ منار المعارف والعلوم وهو آخر ملك فاضل ملك على الديار المصرية لان اكثر الملوك الذين توالوا بعده كانوا رجالاً ظالمين ووحوشًا ضارية . وأولهم بطلماوس الرابع الملقب بفيلوباتور[٢] فانهُ خلف اباهُ سنة ... ق٠م وافتتح اعمالهُ الشريرة بقتلهِ امهُ واخاهُ وكليومينس ملك اسبارطا الذي لجئ الى مصر بعد واقعة سلازيا ٠ وفي سنة ٧ ... ذهب الى اورشليم وبعد ان

(١) ان الحروب التي جرت بين ملوك مصر وسوريا قد كتبت في الفصل المشار اليهِ فلتراجع في موضعها اذ لا داعي لذكرها مرة ثانية

(٢) معنى فيلوباتور محبُّ ابيهِ وقد سميَّ بذلك سخرًا منهُ لانهُ أُتهم بقتل والده

ذبح الذبائح وقدم القرابين لاله اسرائيل اراد ان يدخل الى قدس الاقداس الذي لا يجوز لاحد ان يدخل اليهِ سوى رئيس الكهنة وذلك مرة في كل عام قيل انهُ لما قرب منهُ اخذتهُ الرعدة وسقط على الارض مغشيًا عليهِ فحملوهُ الى الخارج وهو بين حي وميت ولما عاد الى الاسكندرية عاصمة مملكتهِ افرغ غضبهُ على اليهود القاطنين هناك فحط رتبتهم ومنع مَن منهم لا يسجد للاوثان حقوق الترافع والتشاكي وجمع عددًا عديدًا من اولئك المنكودي الحظ واطلق عليهم الافيال لتقتلهم وتدوسهم غير ان هذه الحيوانات لم تؤذهم البتة بل انقضت على المصريين وفتكت بهم فتكًا ذريعًا

وعقب تلك الاعمال المنكرة حرب اهلية دامت مدة ومات من جرائها خلق كثير وتوفي فيلوباتور سنة ٢٠٥ ق٠م وملك بدلاً منهُ ابنهُ بطلماوس الخامس ابيفانس الذي لم يأتِ امرًا مهمًا سوى مظالمهِ وفجورهِ فمات مسمومًا سنة ١٨١ وخلفهُ ابنهُ انطيوخس فيلومتور وهو الذي اثار عليهِ انطيوخس ملك سوريا حربًا عوانًا واخذه اسيرًا وكاد يفتح جميع مملكتهِ لولا اعتراض الرومانيين لهُ واكراههم اياه على الرجوع الى بلادهِ وحدث انهُ لما بلغ المصريين خبر وقوع الملك اسيرًا في قبضة يد انطيوخس ملكوا

عليهم اخاه بطلماوس فيزيكون وحينما عُقد الصلح وعادت المياه الى مجاريها تنازع الاخوان الملك وترافعا الى المجلس الروماني فحكم المجلس بتنصيب فيلومتور مرة ثانية واعطاء فيزيكون اقليم كيرينيكا ويظهر ان فيزيكون لم يرضَ بتلك القسمة بل حارب اخاه ووقع في يدهِ اسيرًا فعفا عنهُ اخوهُ وردّ عليهِ ملكهُ ولما مات فيلومتور ارتقى فيزيكون عرش المملكة وقتل ابن اخيهِ بطلماوس اوباتور ولم تكن اعماله الباقية سوى مظالم يأْباها الطبع البشري وتنفر منها البرابرة لانهُ حالما استتب لهُ الامر اخذ في قتل رعاياه وتنكيل من يبغضهُ فجرت الدماء في شوارع ومنازل الاسكندرية انهارًا ولم يكف هذا الظالم ما فعلهُ من المنكرات حتى تزوج شقيقتهُ كلبوبترة امراة اخيهِ ثم طلقها وتزوج بابنتها المدعوة باسم امها ومات سنة ١١٧ ق·م فخلفهُ ابنهُ بطلماوس الثامن الملقب بصوترا الثاني وكثرت في ذلك الاوان الفتن الاهلية بسبب تنازع الراغبين في الملك وبعد ارتباكات وحروب عديدة جلس على اريكة البطالسة سنة ٨٠ ق·م بطلماوس ديونسيس او اولتس اي المزمّر وهو ابنٌ نغلٌ لبطلماوس لثيرس· واراد هذا الملك ان يصادق الرومانيين كما صادقهم سلفاؤه من قبلهِ فلم يتمكن من ذلك الا بصرف دراهم

وافرة واعطاه يوليوس قيصر وبومبايس ستمائة وزنة فعصاه المصريون لسبب المكوس الفاحشة التي فرضها عليهم وطردوه من مصر ولكن الرومانيين اعانوه وارجعوه الى بلاده وبقي قابضاً على زمام الاحكام الى ان مات سنة ٥ ق.م فخلفهُ ابنهُ بطلماوس الثاني عشر وابنتهُ كليوبترة وملكا كلاهما مدة الاَّ ان الاطماع اثارت بينهما حرباً عواناً انتصر بها بطلماوس وقدر ان يطرد اختهُ الى الديار السورية

وفي ذلك الحين كانت السلطنة الرومانية منقسمة بين بومبايس وقيصر وكان القتال قائماً بينهما على قدم وساق فقهر قيصر خصمه وفرَّ بومبايس هارباً الى مصر فخانه بطلماوس وقتلهُ ناسياً انعام هذا البطل العظيم عليهِ وعلى ابيهِ ولما جاء قيصر الى اسكندرية حارب بطلماوس وقتلهُ وملَّك كليوبترة مع اخيها الصغير بطلماوس الثالث عشر الذي قتلتهُ تلك الاميرة الشريرة وملكت وحدها.

وكانت كليوبترة المذكورة بديعة في حسنها وجمالها ففتنت انطونيوس الروماني واستعبدتهُ بمكرها ودهاها حتى انهُ طلق امراتهُ اوكتافيا وتزوج بها فاثار فعلهُ هذا غضب اوكتافيوس اوغسطوس اخي اوكتافيا فاتاه مسرعاً وحاربهُ وقهره سنة ٣٠

ق · م وكانت كليوبترة قد خانتهُ املاً ان تصيد بشرك جمالها ذلك البطل الظافر فلم تنجح بما قصدت ولما يئست من الحيوة اتت بحية وضعتها على صدرها فلدغتها وماتت وبموتها انقرضت دولة البطالسة التي دامت مائتين وثلثا وتسعين سنة واصبحت مصر اذ ذاك ولاية رومانية وبقيت تابعة لسلاطين رومية وملوك القسطنطينية الى القرن السابع بعد المسيح حينما افتتحها العرب لعهد امير المومنين الامام عمر بن الخطّاب

بيان اسماء ملوك مصر ومدة ملك كلّ منهم

اسم الملك	لقبهُ	مدة ملكهِ	اوان ملكهِ		اوان موتهِ	
		سنة	سنة	ق·م	سنة	ق·م
بطلماوس الاول	صوتر	٤٠	٣٢٣	" "	٣٨٥	" "
بطلماوس الثاني	فيلادلفس	٣٨	٢٨٥	" "	٣٤٧	" "
بطلماوس الثالث	ايرجتس	٣٥	٣٤٧	" "	٣٢٢	" "
بطلماوس الرابع	فيلوباتور	١٧	٣٢٢	" "	٢٠٥	" "
بطلماوس الخامس	ايفانس	٢٤	٢٠٥	" "	١٨١	" "
بطلماوس السادس	فيلومتور	٣٥	١٨١	" "	١٤٦	" "
بطلماوس السابع	ايرجتس او فيزيكون	٢٩	١٤٦	" "	١١٧	" "

اسم الملك	لقبه	مدة ملكه	اوان ملكه	اوان موته
		سنــة	سنة ق.م	سنة ق.م
بطلماوس الثامن	صوترا ولثيرس			
بطلماوس التاسع				
اسكندر الاول		٣٦	١١٧ ″ ″	٠٨١ ″ ″
كليوبترة				
بطلماوس العاشر		٠١	٠٨١ ″ ″	٠٨٠ ″ ″
بطلماوس الحادي عشر	ديونسيوس			
	اولوليتس	٣٩	٠٨٠ ″ ″	٠٥١ ″ ″
كليوبترة				
بطلماوس الثاني عشر		٣٠	٠٥١ ″ ″	٠٣٠ ″ ″
بطلماوس الثالث عشر				

قال مؤلفه نجيب ابرهيم ط ا د هذا ما اخترت جمعهُ من اخبار المكدونيين الابطال الذين خضعت لهم امم الارض صاغرة وغشيت جنودهم سائر الاقطار فشادوا حيثما حلوا صرح المعارف والعلوم وسرت من تعاليمهم ومدارسهم في صدور اولئك البرابرة روح التهذيب اليوناني ومهدوا بفتوحهم سبل اتحاد الشعوب ومعرفة حقوق الانسانية والاخاء فاصبحت تلك الامم العديدة والقبائل المختلفة رعية واحدة لراع واحد ولكن حب الرئاسة قد اضعف هذه المملكة الواسعة الارجاء والشاسعة الاطراف وولد في قلبها الانقسام فسقطت من اوج المجد والفخار وذلت تحت نير الرومانيين

ولا يخفى انني بذلت الجهد في تحري الحقائق ما امكن ضاربًا صفحًا عن خرافات واساطير رواها اليونانيون وهي ناتجة بالاكثر عن جهلهم العظيم لنواميس الطبيعة واحكامها التي لا تغير ولا ريب ان الديانات المنزلة قد

انارت عقل الانسان وشرفته وارته جليًّا فساد اعتقاد الاقدمين لان المشتري والمريخ والزهرة وغيرها من السيارات ليست سوى اجرام متحركة في الفضاء بقدرة فاطر السماوات والارض وما بينهما وما تحت الثرى الاله القيوم الذي لا يحيط بهِ وصف ولا تدركهُ الابصار وهو العزيز الحكيم

اما فن التاريخ في ديارنا العربية فيكاد لا يكون امرًا مذكورًا واكثر التواريخ المؤلفة او المترجمة في هذا العصر غير وافية بالمطلوب لان تاريخ اسكندر المكدوني المنتشر بين الناس اشبه بقصة بني هلال والزناتي وارى تاريخ اليونان كاضغاث احلامٍ لسبب ترجمتهِ الناقصة والركيكة . وقد ارتكب جرجي افندي يني الطرابلسي صاحب تاريخ سورية اغلاطًا تاريخية عديدة منها انتقالهُ لغير داعٍ من جبال لبنان وسواحل فينيقية الى بلاد المورة واسوار فينّا وسلطنة روسيا وبلاد شاه العجم ليقص اخبار حروب الدولة العلية في تلك الامصار واظنهُ قد نسي ان تاريخهُ تاريخ سورية وليس تاريخ جميع الممالك المحروسة فكان الاجدر بهِ ان يكتب كل ما هو واجب ان يكتب عن جبل لبنان ويترك الكلام على حروب الدولة العلية لكتاب اخر . ومن العجب العجاب انك تراه يتكلم بحرية عن مدائن سورية وينسب لاهل هذه القذارة ولسكان تلك سماجة الاخلاق وهو واقف موقف المهندس الخبير والسياسي البصير غير غافل عن الاطناب في مدح بلدهِ طرابلس واهلها فلله درهُ من مورخ سوري حديث ارخ سورية ولم يرَ من مدائنها سوى طرابلس وبيروت وعمم صفات ما بقي بالحلم والتخمين او حسب رواية العوام المتجولين

ومما يستنكف منهُ ويرمي المورخ من ذرى المجد الى الحضيض اتباعهُ الاغراض الشخصية كما فعل شدياق افندي صاحب تاريخ الاعيان في جبل لبنان فانهُ اهمل ما يجب ذكره وذكر ما كان اهمالهُ واجبًا ولي كلام اخر في علم التاريخ وقواعدهِ اذكرهُ بالتفصيل متى سنحت الفرصة

فهرس الكتاب

تنبيه : قد وقع في الطبع بعض اغلاط طفيفة جداً مثل تقديم حرف الزاي على الرآء في لفظة الرزايا صفحة ٥ سطر ٢ وتقديم حرف الطآء على النون في لفظة تقنطوا صفحة ٢٤ سطر ٩ وورود الفصل الاول بدلاً من الفصل الثالث صفحة ٣٤ : وكل ذلك ظاهر لايخفى على القارئ اللبيب

